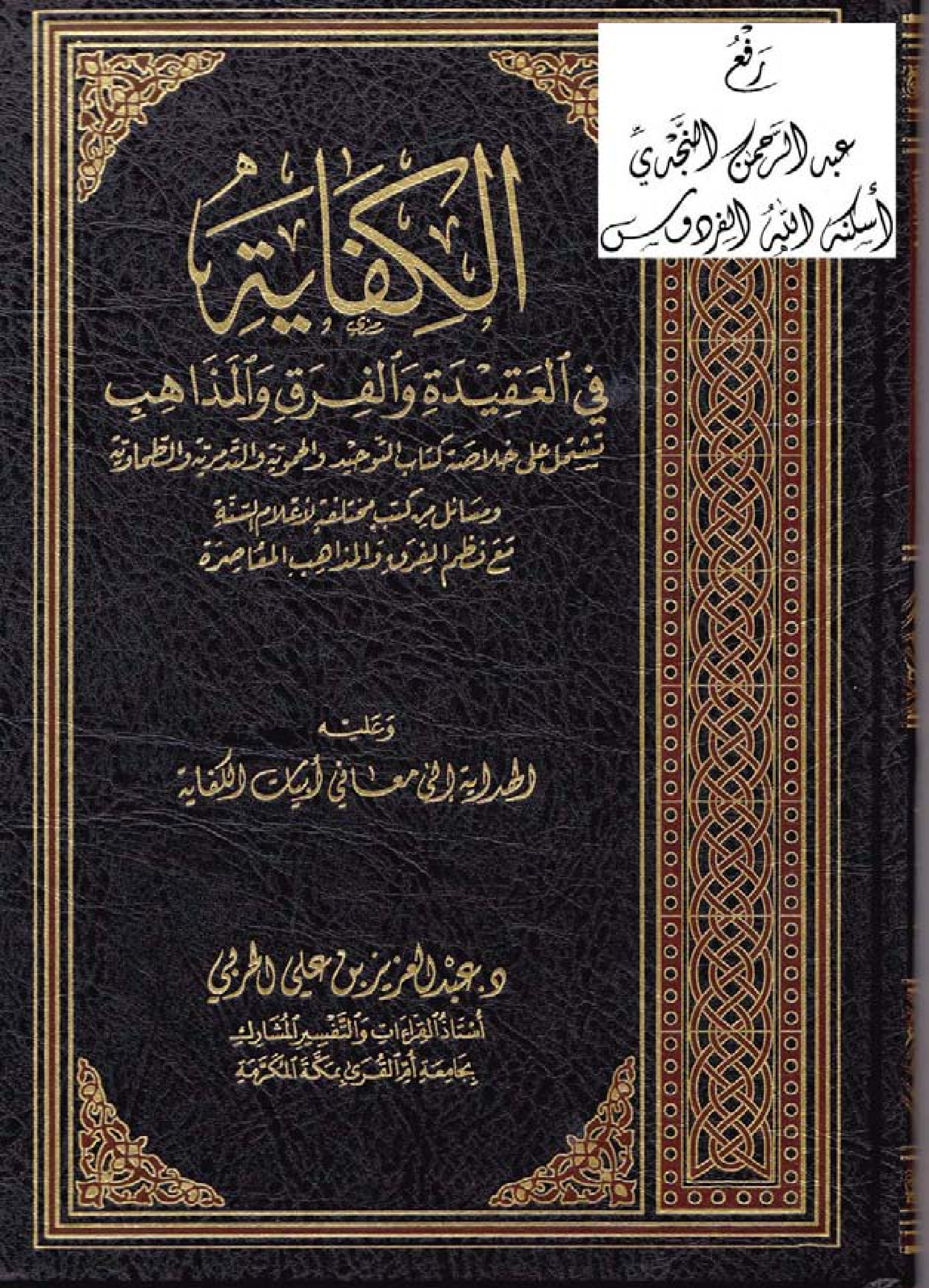
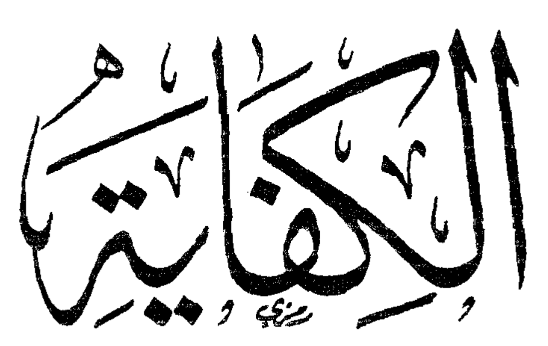

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
الكفاية
في العقيدة والفرق والمذاهب
تشتمل على خلاصة كتاب التوحيد والحموية والتدمرية والطحاوية
ومسائل من كتب مختلفة لأعلام السنة
مع نظم الفرق والمذاهب المعاصرة
وعليه
الهداية إلى معاني أبيات الكفاية
د. عبد العزيز بن علي الحربي
أستاذ القراءات والتفسير المشارك
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة



الكفاية

في العقيدة والفرق والمذاهب

تشتمل على خلاصة كتاب التوحيد والحموية والتدمرية والطحاوية

ومسائل من كتب مختلفة لأعلام السنة

مع نظم الفرق والمذاهب المعاصرة

وعليه

الهداية إلى معاني أبيات الكفاية

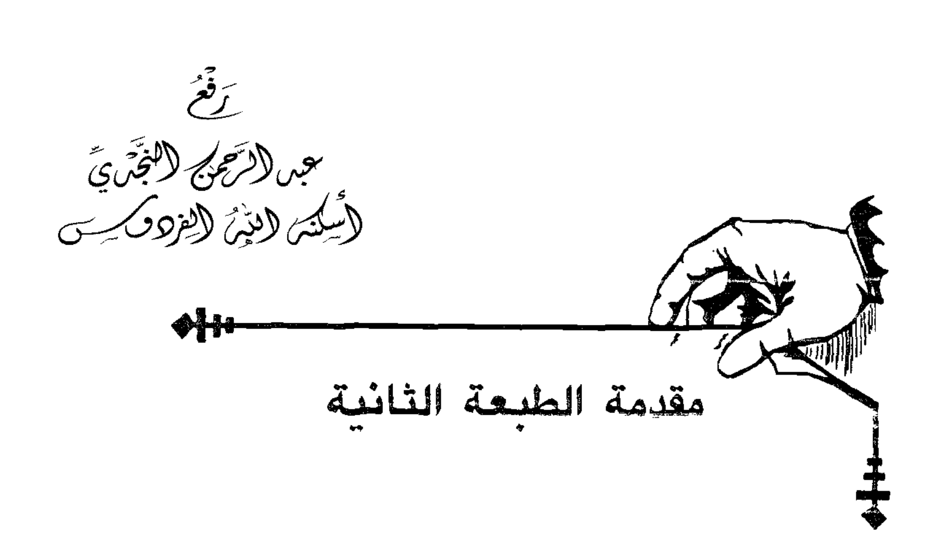
د. عبد العزيز بن علي الحربي

أستاذ القراءات والتفسير المشارك

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. وبعد:

أقدم كتابي «الكفاية في العقيدة والفرق والمذاهب المعاصرة» بشرحه «الهداية» في طبعته الثانية بعد نحو خمسة عشرَ عاماً من طبعته الأولى... ولم تكن مقدمة الطبعة الأولى وافية بشرح مفصَّل، ولكنه كان مناسبًا للشرح الموجز، واليوم ـ وأنا أسلخ الأربعين من عمري ـ أقلب صفحاته، وأقرأ أبياته، فتعود بي الذكرى إلى سنين خوالي، وأيام غوالي، قضيتها في دأب وجهد حول موائد العلوم، لا رفيق لي فيها، ولا أنيس أجد له في نفسي راحة غير الكتاب والقلم، فهما سميرا فؤادي، وإن منعاني لهوي ورقادي، لم يكن لي من اللذائذ ما أجد له طعمًا، ولا من الصوارف ما أحمل له همًّا، ورفاقي في تلك المرحلة يعرفون ذلك منذ المرحلة الثانوية وما بعدها إلى الجامعة، وفيها بدأت في نظم الكفاية، ونقحتها حتى صارت على ما هي عليه، فبدا لي أن ألحق بها نظمًا في الفرق، فتم لي ذلك وألحقته به، وأنا بمكة... ولما عرضته على العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عام ١٤١٥هـ قال لي: قرأته كلّه، ولم أجد فيه ما يحتاج إلى مراجعة منك، غير أني لا أرضى لك التوقّف في مسألة «فناء النار» يشير إلى البيت الذي قلت فيه:

وصنّفَ الوالدُ فيها الكَشْفَا واخترتُ بعدَ طُولِ بحثي الوقفا

ثم قال: لا أرى ذلك؛ لثلاث آيات في القرآن، وتلا آيات التأبيد الثلاث التي جاءت في حق الكافرين في سورة النساء، والأحزاب، وسورة الجن، وذكرته بجواب العلماء الذي يعرفه، وإنَّ المتوقف يتوقف لتكافؤ الأدلَّة، أو القصور يعلمه من نفسه، أو لتقصير في استيفاء البحث، أو لورع، وليس في المسألة ما يرشده إلى الأحوط، وفهمت أنه رضي بالجواب، ولم يطل بيني وبينه البحث.

وقرأه الوالد ـ أمدّ الله في عمره في حسن عمل ـ من أوله إلى آخره، وهو أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى سابقًا، نظمًا وشرحًا، وقرأه غيره، وقرأت جزءًا منه بعد طباعته على والدنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، واستحسنه، وأريد أن أعرض هٰهنا إلى أمرين:

أحدهما: كتابة ملخص في سطور عن هذا النظم ومصادره، فأقول:

هذا النظم هو خلاصة لأهم مسائل «كتاب التوحيد» للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، وخلاصة كتاب «العقيدة الطحاوية» للطحاوي، و«الحموية» و«التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب تلميذه ابن القيم، ومسائل متفرقّة من كتبهما، و«الاعتصام» للشاطبي، وغيرها من كتب الاعتقاد، وبعض المسائل من كتّب التفسير، وغير التفسير، وأما كتب الفرق والمذاهب المعاصرة فمصدري فيها ـ في معظمها ـ كتب الموسوعة الميسرة في الفرق والمذاهب المعاصرة.

ولا أعلم نظمًا من منظومات الاعتقاد جمع خلاصة تلك الكتب، والمنظومات في الفقه الأكبر على مذهب السلف الطيب قليلة، وأما

الفرق والمذاهب المعاصرة، فلا أعلم فيها نظمًا مطولاً ولا موجزًا أصلاً.

فكان من هذا الوجه متميزًا، فإنني لا أرى فائدة كبرى في تكرار مسائل العلوم المنظومة بنظم جديد، لا سيما ما حرّر من ذلك وخدم، كالنحو والقراءات وأصول الفقه، ولا فائدة في صرف الناس عن نظم اشتهر نفعه، وكثرت شروحه وكثر دارسوه إلى نظم جديد، فهذا من ضعف التأليف وقصر النظر في حاجة الناس، ولهذا لا يكتب لتلك الأنظام القبول لدى الناس كما كان لما سبق منها، وقد رأيت منظومات في القراءات السبع منها ما نظمه بعض المعاصرين فلم تهتد إلى طريق الشهرة والعناية بها، وبعضها لا يعرفها إلاً ناظمها وبعض من يعرفه، فهذا من وضع الكلم في غير مواضعه، ولو فكر في ذلك لعلم أن منظومة «حرز الأماني» في القراءات السبع للشاطبي كافية وافية، وهكذا ألفية ابن مالك في علم النحو والصرف، ومنظومة «الرحبية في الفرائض» وغير ذلك.

الثاني: رأيت من يستخف بالنظم في العلوم، وهم صنفان:

أحدهما: رجل ضعيف الحفظ لا يتذوق النظم، ولا يحسن قراءته، يتجرعه ولا يكاد يسيغه، فهذا رجل أتى من نفسه وذمّ ما جهله، والمرء عدوّ ما يجهل.

وأما الآخر: فيرى أن تربية الملكة على القراءة والفهم أولى من الانشغال بالحفظ، ومن هذا الصنف من لا يرى حفظ القرآن ولا نصوص السنة، ويرى أن إعمال الذهن في فهم النصوص وتحقيق المسائل والاستنباط، والبحث أولى وأجدر، ومنهم من لا يرى ذلك في المنظومات والمتون، ويقول: إن عصور ما قبل النظم لم يكن

العلماء فيها يحفظون مثل هذه المنظومات وكانوا أعلم، وغاب عن باله أنهم كانوا يحفظون أسفارًا كاملة، وكتبًا وموسوعات، وأنهم كانوا يحفظون دواوين الشعراء، وفاته أنه لم يكن ثمة نظم فيحفظ، ولا متون تعتصر مسائل العلم وتجمعه، وخفي عليه أن النظم ما هو إلاّ ضرب من الكلام، كالنثر، غير أنه موزون مقفّى يستعذبه الطبع، ويخف على السمع، ويجري على الألسنة جري الماء، وأنه أثبت في القلب وأضبط وألخص.

وقد عرف من عالج ذلك بالتجربة، ووجدنا أنه لا يستطيع أحد أن يضبط القراءات بعزوها إلى قارئها ضبطًا دقيقًا إلاّ بحفظ كتاب في ذلك كالتيسير أو الشاطبية، وأن حفظه للنظم أيسر، وثباته أدوم، ومراجعته أسهل، ووجدنا علماء الإسلام منذ نشأ النظم العلمي مقبلين على النظم كتابة وحفظًا وشرحًا وتعليمًا، في النحو والصرف، وأصول الفقه، وعلم البيان، وعلم القراءات والتجويد، ومصطلح الحديث، وغيرها. . . وفي بعض المنظومات المختصرة ما يجمع شتات مسائل فن من الفنون في أبيات قليلة تكون أصلاً ينطلق منه المبتدي، وتذكرة للعالم، وأضرب مثالاً على ذلك بمنظومة «البيقونية» في مصطلح الحديث، عدد أبياتها أربعة وثلاثون، يحفظها طالب العلم في يوم، ويجد لذلك نفعًا عظيمًا.

ثم إن علوم الإسلام مبنية على الحفظ، وإنما حُفِظ القرآن والسنة وأصول العلوم وأقوال الصحابة والتابعين وأشعار العرب والتواريخ في ذاكرة الحفاظ، والذين يذمّون الحفظ غالطون خالطون بين المدرسة الغربية القائمة في معظمها على التطبيق والفهم وبين الدراسة الشرقية التي تقوم علومها على الحفظ والفهم معًا، والعلم هو الحفظ، ولا يكونْ المرء عالمًا إلاّ بالحفظ، وليس في العلماء من نال الإمامة في

العلم إلاَّ بالحفظ، والشأن في الحافظ أن يفهم ما يحفظه ويعيه، وأما من يحفظ ولا يفهم، فهذا كأبي زياد! وكلامنا عن غيره، وقد أخبر من صرف همته لاكتساب المعرفة بالقراءة والبحث والجدل حتى صار من الأعلام وحكماء الإسلام أنه نادم على تقصيره في باب الحفظ، وأنه أضعف حافظته بإعمال الملكات الأخرى دونها، وإنما تنمو الملكات بالتربية والاعتناء والترويض، وهكذا من اشتغل بالحفظ وغلّبه على غيره يكون تغليبه على حساب الملكات الأخرى.

فالناس في هذا طرفان ووسط... وقد نبهت على هذا الجانب في مقدم شرحي على «مقصورة ابن دريد».

ومما يبالغ فيه المفرطون في الاشتغال بالمتون حفظ ما لا يحتاج الآن إلى حفظ، ولا يكفينا فيه الحفظ، وحفظه يتطلب عناءً كبيرًا، ومراجعته تستغرق وقتًا، كأن يحفظ طالب العلم كتاب «تقريب التهذيب» لابن حجر، فهذا ضيَّع وقته ولم ينفعنا بشيء، فلا التقريب وحده يكفي في الحكم على الرجال، ولا اكتسب علمًا ينتفع به حكمة وعملاً، تزكو به نفسه ويتهذبُ خلقه، وإنما هي أسماء ورموز أجهد بها ذهنه، وقسا بها قلبه، ولو أحسن السلوك إلى الطريق الموصل إلى المقصود لاكتفى بالمراس والدربة؛ لأن مثل هذا يدرك بالاطلاع والدراسة والتدريس، وكذلك الفقه ليس من العلوم التي تحفظ مادتها من خلال متن منظوم أو منثور؛ لأن الفقه هو العلم بالأحكام من خلال الدليل، وهو بعد ذلك واسع الدائرة جدًّا، والعبقرية فيه تمنع من جمع الذهن على معلومات محدودة في متن منظوم أو منثور.

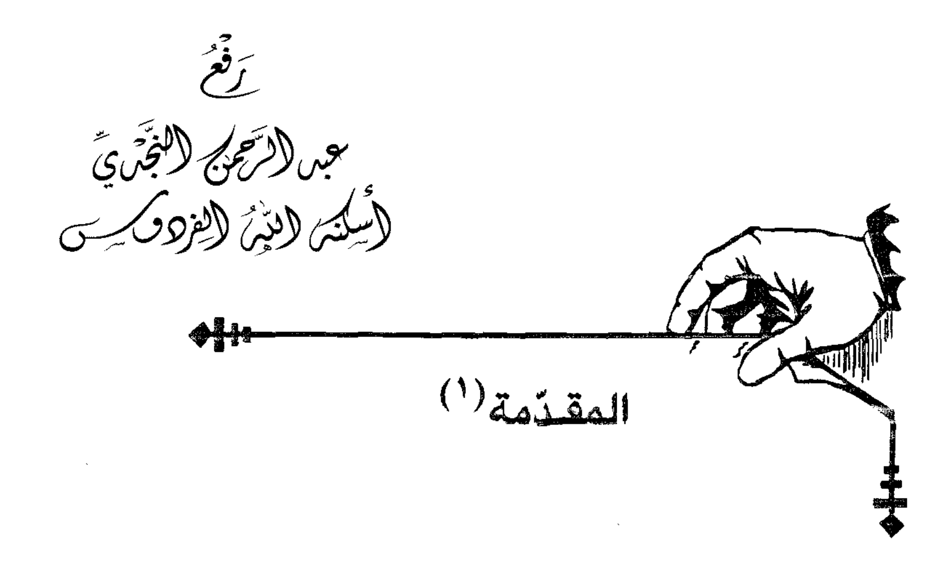
ومع هذا كله لا نقول: إن حفظ المتون من شروط تحصيل العلم ولكننا نردّ على من يعيب على من يستعين بها، ونرشد إلى أنها طريق مختصر للتحصيل والضبط وإيقاظ الذاكرة.

إنني أقدم منظومتي هذه الجامعة لمسائل كثيرة من مصادر شتى مع شرحها الوجيز لتكون كافية لمن حَذِقها وافية بمراده، وليكون من استوعبها نابغًا بين أقرانه في هذا الشأن... ولا أستطيع أن أصوِّر التعبير عن سروري العامِر الغامر حين لقيت من حفظها أو حفظ بعضها، أو حفظ الأبيات الملحقة في الفرق والمذاهب المعاصرة، وهي مسجلة بصوتين حسنين، ولم أغير في شيء من أبياتها إلاَّ ما لا بدّ منه لزيادة معنى أو تجنب ما يراه كثير من العروضيِّين عيباً في القافية.

وإني لأسأل المولى ـ سبحانه ـ بأسمائه الحسنى التوفيقَ والسدادَ والقبولَ لي ولكلِّ من قرأها.

د. عبدالعزيز بن علي الحربي
مكة المكرمة ـ ١٤٢٩هـ
ثم صححته وراجعته
غرة محرّم من عام ١٤٣١هـ
ببيروت ـ لبنان





المقدّمة[1]

سَبَّحْتُ بالْحمدِ وَبِالْحَمْدِ أَقُوْلْ ... أَصُوْلُ بِالله وبالله أَجُوْلْ

رَبِّ أَعِنِّي واشْرَحَنَّ صَدْرِي ... وَسَدِّدِ الْمِزْبَرَحِيْنَ زَبْرِي

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُبَارَكْ ... مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَارِكِ

---

(١) الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال أبو محمد: هذا شرح مختصر على نظم العقيدة والفرق المسمّى بـ«كفاية السُّرسُور في العقيدة والفرق ومذاهب الدهور»، كنت نظمت كثيرًا منه منذ دهر لنفسي، ثم زدته أبياتًا من نَظْمَيَّ «وَلَدُ الوَلَد» و«حشو الإِردَبّ مما هبّ ودبّ»، وتوخيت في كل من النظم والشرح الإيجاز وإيضاح العبارة متجافيًا عن قصد الصناعة مائلاً عنها إلى الطبع الذي يتفق الناس على حمده إلاَّ في مواضع يسيرة كان المقام يقتضي فيها ذلك، لغرض الإفادة بلفظ غريب أو معنى غير قريب.

وليعلم المطَّلِعُ أنَّ «الكفاية» في العُنْوَان نسبيّة، ولها اعتبارات، وأنني إذا أطلقت في النظم لفظ: «الشيخ»؛ فالمقصود به شيخ الإِسلام ابن تيمية. وبالله تعالى التوفيق، وعليه وحده التكلان.

والسُّرسُور: هو الفطن العالم الدّخّال في الأمور، والحبيب، والخاصّة من الأصحاب. «القاموس».

وَصَحْبِهِ والتَّابِعِيْنَ النُّبَلاَ   وَمَنْ قَفَا آثَارَهُمْ وَوَصَلاَ

عَذْبَ مَعِيْنِهِمْ بِمَجْرَىٰ الاِتِّبَاعْ   وَمَدَّ نحوَ شِرْبِهِمْ بِكُلِّ بَاعْ

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ لَهُ رِيَاضُ   غُلْبٌ خمائِلُ لَهَا حِيَاضُ

وَقَدْ عُنِيْ أَسْلاَفُنَا بِالْعِلْمِ   وَقَنَصُوْا شارِدَهُ بالنَّظْمِ

وَأَرْهَفُوا مَخَاذِمَ[1] البَرَاعَهْ   وَأَرْعَفُوْا مَخَاطِمَ[2] الْيَرَاعَهْ[3]

فَكَانَ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ كُتُبِ   نَفَّاعَةٍ عَلَىٰ اخْتِلاَفِ الرُّتَبِ

وَقَدْ رَجَوْتُ خالِقِي فَتْحًا عَلَيّ   فِيْ نَظْمِ مَا رُمْتُ، وَإِنِّي لَظَمِيّ

لأَنَّنِيْ لَمْ أَرَ لِلأَصْحَابِ   نَظْمًا وَجِيْزًا عَمَّ ذَا اسْتِيْعَابِ

فَوَفَّقَ الْكَرِيْمُ فِي نَظْمِ رَجَزْ   حَوَىٰ أُصُوْلَ الاعْتِقَادِ وَنَجَزْ

وَحِيْنَ شَبَّ نَظْمُهُ أَمْسَكَ بِهْ   نَظْمُ افْتراقٍ واسْتَوَىٰ فِي سَكَبِهْ

وَرُبَّمَا يَفُوْقُ نَظْمِيْ مَنْ سَبَقْ   فِي الجَمْعِ والإِيْجَازِ مَعْ نَظْمِ الْفِرَقْ

وَسَبْقُهُمْ مُسْتَوجِبٌ دُعَائِيْ   إِنَّ دُعَائِيْ لَيْسَ كَادِّعَائِيْ

---

(١) جمع مِخْذم، وهو السيف القاطع.

(٢) جمع مِخطَم على وزن منبر ومجلس: الأنف.

(٣) القلم.

الكلامُ في نوعي التَّوحيد

نَوعَانِ قَولِيٌّ وفِعْلِيٌّ، كِلاَ ... نوعَيهِ - يَا ذا اللُّبِّ - بِالعِلْمِ أنجَلاَ
وانقَسَم القَوليْ إلى قِسمَينِ ... سَلْبٍ وإثباتٍ بغَيرِ مَيْنِ
وَالأَوَّلُ انْفَكَّ إلَى: متَّصِلِ ... وَذِي انفصَالٍ مثلُ سَلْبٍ لِلوَلي
ثَانيهِمَا إثْبَاتُ وَصْفِ كَمَلا ... لِلمَلِكِ القدُّوسِ جَلَّ وعَلا[1]

---

(١) **التوحيد نوعان**: قولي اعتقادي؛ لأنه متعلق باللسان ثناءً، وبالقلب إقرارًا واعتقادًا، وسوف يأتي الحديث عنه في نظم التدمرية وهو توحيد الأسماء والصفات ويدخل فيه توحيد الربوبية.

النوع الثاني: الفعلي، وسيأتي بيانه.

وانقسم هذا النوع وهو «القولي» إلى قسمين:

الأول: السلب، أي: سلب النقائص عن الله المتضمن إثبات الكمال.

والثاني: ثبوتي، وهو إثبات ما ثبت لله تعالى من صفات الكمال وهو ما تضمنه البيت الرابع.

والأول: وهو السلب، انفك، أي: انفصل إلى:

١- توحيد قوليّ سلبي متصل، كنفي الموت المنافي للحياة، والضعف المنافي للقوة. =

أَسْمـاؤُه أسـماءُ مَـدْحٍ، كُـلُّـهَـا قد ضُمِّنتْ مَعنًى لَهَا في لَفْظِهَا

إيَّـاك وَالإِلْـحـادَ فِـيْـهَـا، وَذرِ الْمُلْحِدِينَ، سَوف يُجزَى الْمُفتَرِي

وَالْمُلْحِدُونَ مِنْهُمُ: الْمُعطِّلُ أوْ مُشـرِكٌ، أو مُنكـرٌ مُغَـفَّـلُ[1]

وَثَـانِـيَ الـنَّـوعَـيْـن: ألاَّ تَـعْـبُـدَا إلاَّ إلَـهَـنَـا وَأَنْ تُـوَحِّـدَا

ذَا خَـشْـيَـةٍ مَـحَـبَّـةٍ وَرَغـبـةٍ إنَـابَـةٍ تَـذَلُّـلٍ ورَهْـبَـةِ

ونَـقْـضُـهُ بـأَحَـدِ الـشِّـركَـيْـنِ أَكْـبَـرَ أَوْ أَصْـغَـرَ فَـاحْـذَرْ ذَيـنِ

فَـالـذَّبْـحُ والـنَّـذرُ والاِسْـتِـعَـاذَةُ وَحَـلِـفٌ وَخَـشْـيَـةٌ وَرَغـبَـةُ

تَـوكـلٌ، إن لـم تَـكُـنْ مِـنْـهُ لَـهُ بِـهِ عَـلـيـهِ فِـيـهِ، شِـرْكٌ كُـلُّـهُ[2]

= ٢ـ توحيد قولي سلبي منفصل؛ كنفي أن يكون لله ولي.

والميم في «كملا» يجوز فيها الحركات الثلاث، والفتح هنا أولى.

(١) أسماء الله تعالى أسماء مدح، كلّ اسم منها متضمن صفة من صفاته، فاحذر أن تلحد في أسمائه بأن تسميه بما لم يسمّ به نفسه أو بإنكار شيء منها أو مما تضمنته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾، والملحدون في أسماء الله تعالى ثلاث فرق: معطّلٌ، ومشركٌ، ومنكرٌ جاحد.

(٢) قوله: وثاني النوعين... إلخ. هذا هو قسيم القولي، وهو: التوحيد الفعليّ الإِراديّ الطَّلبي المسمَّى بتوحيد العبادة، وهو إفراد الله بها عملاً وإخلاصًا في جميع أنواعها كالخشية والمحبة والرغبة... إلخ.

ونقض هذا التوحيد ـ وهو على درجات ـ يكون بالوقوع في الشّرك، كبيرًا أو صغيرًا فالذبح والنذر... إلخ إن لم يكن الأولان له، والاستعاذة والحلف به والخشية منه والرغبة فيه وإليه والتوكل عليه، فهو شرك كلُّه.

وفي البيتين لف ونشر غير مرتب.

وقولي: «إنابة تذلّلٍ» بترك العاطف هو من باب قوله: كيف أصبحت كيف أمسيت مما... أي: وكيف أمسيت، ويأتي كثيرًا في النظم، وفي=

. . . .

= الذكر: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ أي: ووجوه، عطف على: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾.

العابدون غيرَ الله

والـعَـابِـدُونَ عَـابِـدُوا الـنِّـيـرانِ وَعَـابِـدُوا الأهْـوَاءِ والـشَّـيْـطَـانِ
وَعَـابِـدُوا الـشُّـيُـوخِ والـعِـظَـامِ وَعَـابِـدُوا الـعَـجُـوزِ والـحُـطَـام
وتَـعِـسَ الـجَـمِـيـعُ، كُـلُّـهُـمْ كَـمَـنْ خَرَّ إلى الرَّدى فَمنْ ينْجِيْه مَنْ؟[1]

---

(١) والعابدون غير الله أصناف، منهم عابدو النيران، ومنهم عابدو الهوى، ومنهم عابدو الشيطان، ومنهم عابدو العِظَام (جَمْعُ عَظِيم) من الخلق، ومنهم الذي يعبد الدنيا، وكلهم كما قال الله ـ تعالى ذِكْره ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ولا أحد ينجيه من بعد الله، و«من» الأولى: موصولة، والثانية: للاستفهام.

و«العجوز» من المشترك اللّفظي، لم أجد في اللغة أوسع منه معنى، له أكثر من مائة معنى، منها الدنيا، وإن كان في الأصل راجعًا إلى معنيين اثنين دالّين. والله أعلم.

بيان أقسام الظلم والفسوق والنفاق والكفر والشرك

والظُّلْمُ والفُسُوقُ والنِّفَاقُ ثُمّ — كُفْرٌ وشِرْكٌ كُلُّ ذَلكَ انْقسَمْ

لِأصْغَرٍ وأَكْبَرٍ وَذُو الْكِبَرْ — مُخَلَّدٌ كُلَّ ذَوِيهِ فِيْ سَقَرْ[1]



(١) كل من الظلم والفسوق والنفاق والكفر والشرك ينقسم إلى قسمين: أصغر، وأكبر. والثاني مخلد أصحابه في سقر، وأمثلة كلٍّ منها لا تخفى، و«ثم» في البيت الأول للترتيب الذكري.

مسألة في التوسل

سَلِ الْإِلَهَ بِاسْمِهِ، أَو صِفَةِ ... أَوْ عَمَلٍ، كَقِصَّةِ الثَّلاثَةِ

أَو بِدُعَاءٍ مِثْلِ قولِ عُمَرَا ... إذْ يَذكُرُ العَبّاسَ يَرْجُو الْمَطَرَا

ومَا عَدَاهُ فَهْوَ فِعْلٌ مُبْتَدَعْ ... اِعْمَلْ بِمَا صَحَّ ومَا عَدَاه دَعْ[1]



(١) يتوسل إلى الله تعالى بأسمائه أو صفاته أو عمل صالح كما فعل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، أو بنحو ما فعل عمر في قصة استسقائه المعروفة، وما عدا ذلك فهو بدعة، فاعمل بما صح ودع ما عداه.

حكم من أتى كاهنا أو عرّافا والاستسقاء بالأنواء والحكمة من خلقها

وَمَـنْ أَتَـىٰ كَـاهِـنًـا أَوْ عَـرَّافًـا ... مُـصَـدِّقًـا فَـكَـافِـرٌ أَوْ وَافَـى

وَمَـنْ أَتَـاهُ دُونَـهُ لَـم تُـرفَـعِ ... صَـلاتُـهُ عَـشَـرةٌ فِـي أَرْبَـعِ

وكَـافـرٌ بـالـرَّبِّ ذُو اسـتـسْـقَـاءِ ... بـالـنَّـوءِ فَـارْجُ خَـالِـقَ الأنْـواءِ

وَخَـلَـقَ الـلّـهُ الـنُّـجُـومَ زِيْـنَـهْ، ... وَلاِهْـتِدَا، والـرَّجـمِ لِلْـمـلـعُـونَهْ[1]



---

(١) ومن أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ. ومن أتاه دون تصديق لم ترفع صلاته أربعين يومًا، ثبت معناه عن النبي ﷺ، والمستسقي بالنجوم معتقدًا إنزالها للمطر كافر بالله مؤمن بالكواكب.

وخلق الله النجوم زينة للسماء، وهداية للناس يهتدون بها في سيرهم ونحوه، ورجومًا للشياطين.

الكلام في السحر
وحكم الساحر والنُّشرة

والسِّحْرُ إِحْدَىٰ الْمُوبِقَاتِ وهْو ما ... لَطُفَ أمْرُهُ وكَانَ مُبْهَمَا
وَلاَ يُصِيْبُ أَحَدًا بِشَيْنِ ... إلاَّ بِإِذْنِ رَبِّنا كَالعَيْنِ
وَضَربُهُ بالسَّيفِ وَاهٍ، وَاخْتُلِفْ ... في حُكْمِهِ، وَمَن يفصِّلْ لَم يَحِفْ
إن كَانَ كُفْرًا مَا جَنَىٰ فَكَفِّرِ ... أَوْ لَا فَلاَ، والنُّشْرَةُ الحَلُّ دُرِي
بالسِّحْرِ، والرُّقَى، وَجَازَت بالرُّقى ... وَقَدْ رُقِيْ نَبِيُّنَا، وقَد رَقَىٰ[1]

(١) والسحر: إحدى الموبقات السبع، وهو: ما لطف أمره ولم يعلم لخفائه.

ولا يصيب أحدًا بأذى إلاَّ بإذن الله، وكذلك العين.

وحديث: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» وفي رواية: «**ضربة**» ضعيف، واختلف في حكم الساحر، ومن يفصل لم يحف، أي: لم يجر في الحكم عليه بأن يقال: ينظر إلى عمله في السحر فإن كان مشتملاً على كُفْرٍ كَفَرَ، وإلاَّ فلا.

والنشرة: الحلّ، أي: حل السحر عن المسحور، ويكون بالسحر والرقى وجازت بالرقى فقط، وقد رُقي النبي ﷺ ورقَىٰ، والأولى ترك طلبها لما سيأتي.

الكلام عن الكيّ والتّداوي

والنَّهيُ عَنْ كَيٍّ وَمَدْحُ مَن تَرَكْ وكُرْهُهُ جَاءَ صَحِيحًا دُون شَكّ
وقَد كُوِيْ مِن ذَاتِ جَنْبٍ أنَسُ والمُصْطَفَىٰ حَيٌّ، أَلا فاسْتأنِسُوا
ثُمَّ التَّداوِيْ أَوْجِبَنْ، أَوْ أَبِحِ أو استَحِبَّ، والأخِيْرَ رَجِّحِ
سَبْعُونَ ألفًا يَدْخُلونَ الجنَّةْ من أمَّةِ الحَاشِرِ دُون جُنَّهْ
مِنَ الحِسَابِ، مِنْهُمُ عُكَّاشَهْ «بُزَاخَةٌ» آخِرُ مَا قَد عَاشَهْ
وَقَد حَكَىٰ «يُوسُفُ» في اسْتيعَابِهِ نِفَاقَ تَالِيهِ، وَلا تَثِقْ بِهِ
زِيْدَ النَّبِيْ خَمسَ مَلايينَ عِدَا هُنَيْدَةٍ، في البَيْهَقِيْ وَأحمَدَا
جَوَّدَهُ في الفَتْحِ، ـ رَبِّ اجْعَلْني مِنْهُمْ ـ، و«لا يَرْقونَ» سِمْ بِالوَهْنِ[(١)]

(١) صح عن النبي ﷺ النهي عن الاكتواء، ومدح تاركه، وكراهته إياه، وفي البخاري عن أنس: «أنه كُوي من ذات الجنب والنبي ﷺ حي». وبه وببعض ما سيأتي يتبين جوازه وأن تركه أولَىٰ.

أما التداوي مطلقًا؛ فقيل: واجب، وقيل: مباح، وقيل: مستحب، وهو المرجَّح عند كثير. وفي الصحيح: «**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»؛ منهم عكاشة بن محصن. =

. . . .

= و«بزاخة» آخر أيام حياته، قتل فيها، وهي وقعة لأبي بكر الصديق في حروب الردة.

وقد حكى يوسف بن عبدالبر في «الاستيعاب» عن بعض أهل العلم أن الذي سأل النبي ﷺ بعد عكاشة كان منافقاً، ولا يوثق بهذا النقل لضعفه.

والحامل لهم على هذا عدم إجابة النبي ﷺ له بمثل ما أجاب عكاشة، ولهم مستند من الأثر لا يصح، وفي «الفتح» عند شرح الحديث بحث فليُرجع إليه. والمتبادر أن النبي ﷺ فعل ذلك لمعنى آخر وهو قطع تتابع السائلين. والله أعلم.

وفي البيهقي وأحمد أن النبي ﷺ استزاد ربه فزاده مع كل ألف سبعين ألفًا، جوّد إسناده ابن حجر، وورد في حديث «السبعين» في بعض طرقه زيادة: «ولا يرقون» وهي ضعيفة. وممن أشار إلى ضعفها الإِمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

و«الهُنَيدَة» المائة من الإِبل أو من كل شيء، وهي هنا مائة ألف.

أقسام البدعة

وَقَسِّمِ الْبِدْعَةَ باعْتِبارِ إِخْلاَلِهَا: لِبِدْعَةِ الإِكْفارِ
وَبِدْعَةٍ أقلَّ، وَهْيَ بِحَسَبْ مَحلِّهَا: لِبدْعَةٍ ذَاتِ قُرَبْ
أُخْراهُمَا البِدْعَةُ في المعامَلهْ وَمَنْ يُحسِّنْ بعضَها انْصُرْ عَاذِلَهْ[1]



(١) وقسم البدعة باعتبار إخلالها بالدين إلى قسمين: بدعةٌ يكفر بها صاحبها، وبدعةٌ أقلُّ من ذلك، والبدعة بحسب محلها؛ أي: ما تقع فيه تنقسم إلى: بدعة في العبادة، وأخرى في المعاملة، ومن يحسن بعض البدع بأن يقول: هذه بدعة حسنة فانصر من يلومه وينكر عليه؛ لأن كل ما يسمّى بدعة في الدين ضلالةٌ. والإِكفار مصدر أكْفَر ككفَّر.

أسبَاب البدع

والجَهْلُ بالوَحْيَيْنِ، والقولُ على	إلَــهِـنَـا بِـغَـيْـرِ عِـلْـم أُصِّـلا
والـجَـهْـلُ بـالـلُّـغَـةِ، أَوْ أَحْـوالِ	هَـدْيِ الـنَّـبِـيْ، وسُـنَـنِ الْـمَـقَـالِ
والاتِّـبَـاعُ لـلـهَـوَىٰ والـمـشْـتَـبِـهْ	إرادَةَ الـفِـتْـنَـةِ والـمُـيُـولِ بِـهْ
مِـن سَـبَـبِ الـبِـدْعَـةِ فِـي الإِسْـلَامِ	وَعُـدْ إلَـى كِـتَـابِ «الاعْـتِـصَـامِ»[1]

(١) والجهل بالكتاب والسنة والقول على الله تعالى بغير علم، والجهل باللغة العربية ومدلولاتها وبهدي النبي ﷺ واتباعُ الهوى وما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة والتحريف، كل ذلك من سبب البدعة في الدين، ومن شاء الاستزادة فليعد إلى كتاب الشاطبي «الاعتصام» فهو أوفى كتاب في هذا الباب.

حكم من أتى ببدعة

وَمَنْ أَتَىٰ بِبِدعَةٍ أُقيمتِ عَلَيْهِ حُجَّةٌ فَإن تَجَلّتِ
فَقَالَ: لاَ، فَكَافِرٌ إن كَانَا مِنَ الضَّرُورِيِّ الَّذِي اسْتَبَانَا
أوْ لا: فَفَاسِقٌ، فَإنْ لَم يَظْهَرِ فَلاَ تُفَسِّقْهُ وَلاَ تُكَفِّرِ[1]



(١) ومن أتى ببدعة أقيمت عليه الحجة، فإن تجلت له فَعَنَدَ وقال: لا، فهو كافر إن كان ما كابر فيه من الضروري البيّن، فإن لم يكن كذلك فهو فاسق إن ظهرت له الحجة فَلَجَّ، وإن لم تظهر له الحجة في دفع بدعته فلا تفسقه ولا تكفره حتى تقام عليه الحجة.

نواقض الإسلام

نَـواقِـضُ الإِسْـلاَمِ شِـركٌ، سِـحـرُ ... أَدَّى لِشركٍ، بُغضُ وَحْيٍ، سُخْرُ
بِـالـدِّيـن، أو نُـصْـرةُ أَهْـلِ الـشِّـركِ ... عَلَـى مُنيبٍ، والـرِّضَـا، كـالـشَّـكِّ
بـكُـفـرِهِـم، أَوِ اعـتـقَـادُهُ ارْتِـقَـا ... مِـلَّـتِـهِـم، وأَنْ لَـهُ أَن يَـمْـرُقـا
وَجَـعْـلُـهُ الـخَـلْـقَ وَسَـائِـطَ إِلَـىٰ ... خَـالِـقِـهِ يـدعـوهـمُ عَـلَـىٰ الـوِلاَ[1]

---

(١) نواقض الإسلام عشرة:

أولها: الشرك بالله تعالى.

ثانيها: السحر المؤدي إليه.

ثالثها: بغض دين الله تعالى.

رابعها: السخرية به.

خامسها: مظاهرة المشركين ونصرة دينهم على المؤمنين.

سادسها: الرضا بكفرهم.

سابعها: الشك في كفرهم.

ثامنها: الاعتقاد أن دينهم فوق دين الله وخير منه.

تاسعها: الاعتقاد أنه يجوز الخروج عن دين الله، و«أنْ» في (وأن له) مخففة من الثقيلة.

عاشرها: أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم من دون الله تعالى.

بابٌ
في الكلام في توحيد أسماءِ الله تعالى وَصِفَاتِه
وهو مشتملٌ على جملة ما حوته «التَّدمُرية»

وَالكِلْمُ في التَّوحِيدِ والوَصْفِ: خَبَرْ وَذَاكَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإثْبَاتِ قَرّ

وَالشَّرْعِ والْأَقْدَارِ: مِنْ بَابِ الطَّلَبْ وَدَائِرٌ بَيْنَ إرَادَةٍ وَحُبّ

فالأصْلُ فِي التَّوحِيدِ فِي كُلِّ صِفَهْ أَنْ يُوصَفَ الله بِمَا قَدْ وَصَفَهْ

وَرُسْلُهُ، وَذَاكَ نَهْجُ السَّلَفِ فَمَنْ قَفَا آثَارَهُمْ لَمْ يَخفِ(١)

---

(١) الكلام في التوحيد والصفات من نوع الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع والقدر من باب الطلب الدائر بين الإرادة والحب والكره والبغض، والواجب في الأول: التصديق، وفي الثاني: الطاعة.

والكِلْم كعِلْم: لغةٌ في الكلام، و«الشرع» معطوف على لفظ: «التوحيد والوصف» و«الأقدار»: جمع قدر.

إذا علم هذا؛ فالأصل الأول في القسم الأول ـ وهو التوحيد في الصفات ـ أن يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسلُه دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل، وذاك نهج السلف، فمن سار على ما ساروا عليه لم يخف العِثار، وقد وافق العلم والسلامة.

هـذَا، وَقَوْمٌ كَابَرُوْا فِي البَدَهِيْ ... فَجَعَلُوْا القُدْرَةَ عِلْمًا وَهْوَ هِيْ

وَفِرْقَةٌ أَثْبَتَتِ الأَسْمَا، وَهُمْ: ... قِسْمَانِ، قَالَ بَعْضٌ مِنْهُمُ: عَلَمْ

جَمِيْعُهَا، وَبَعْضُهُمْ زَادَ هُنَا ... غَرِيْبَةٌ فَأَنْكَرَ التَّضَمُّنَا

فَشَبَّهُوا إِذْ عَطَّلُوْا وَسَفْسَطُوْا ... فِيْ الْعَقْلِ والسَّمْعِيُّ فِيْهِ قَرْمَطُوْا

كَيْفَ بِلاَ سَمْعٍ وَلاَ عِلْمٍ وَلاَ ... وَلاَ... وَلاَ...، فِي عَقْلِ مَنْ بَا هؤلاَ؟[1]

وَالاِشْتِرَاكُ فِي اسمِهِ لاَ يَقْتَضِي ... تَمَاثُلًا حِسًّا وَعَقْلًا قَدْ قُضِي

فَاللّهُ سَمَّى نَفْسَهُ الحَيَّ وَقَالْ: ... ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ تَعَالَىٰ ذُو الجَلاَلْ

والاسم الإِسْمُ لكِنِ المُسَمَّىٰ ... غَيْرُ المُسَمَّىٰ فَاعْرِفِ المُهِمَّا

وَالْعِلْمُ مِنْ صِفَاتِهِ وَوَصَفَا ... بَعْضَ عَبِيدِهِ بِعِلْمٍ وَكَفَى

وَالْمَقْتُ والنِّدَاءُ وَالمَحَبَّةُ ... والمَكْرُ وَالكَيْدُ يَدٌ وَقُوَّةُ

قَدْ وُصِفَ الْخَلْقُ بِهَا وَالْخَالِقُ ... وكلٌّ موصوفٍ يوصف لائقُ[2]

---

(١) وهناك قوم من الفلاسفة جعلوا الصفة هي الموصوف مكابرة للقضايا البدهيّات فجعلوا القدرة هي العلم والعلمَ هو القدرة.
وطائفة ثالثة من أهل الكلام أثبتت الأسماء دون الصفات وهم قسمان. قال بعضهم: أسماء الله تعالى كالأعلام المترادفة، والآخرون جاؤوا بقولة غريبة هنا فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات.
فشبهوا الباري سبحانه وعطلوا مسفسطين في العقليات مقرمطين في السمعيات. كيف يكون الخالق سبحانه بلا سمع ولا علم ولا حياة ولا قدرة... إلخ، في عقل من يرتكز هذا؟

(٢) لما سلب النفاة صفات الباري سبحانه فرارًا من التشبيه قيل لهم: اشتراك الخالق والمخلوق في الوجود مثلًا أو الحياة لا يلزم المماثلة لا في الحس ولا في العقل. فالله سمّى نفسه الحيّ، وقال: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] فسمّى بعض عباده حيًّا والاسم هو الاسم لكن المسمّى غير المسمّى فهذا مخلوق وذلك خالق والفرق=

وَالصَّادِفُونَ عَنْ سَواءِ الْمَسْلَكِ   اضْطَرَبُوا فَوَقَعُوا فِي مَهْلَكِ
فَتَارَةً يَرْتَكِبُوْنَ السَّلْبَا   وَتَارَةً يُشَبِّهُونَ الرَّبَّا
إِثْبَاتُهُمْ إنْ أَثْبَتُوا رَبًّا بِلاَ   حَقيقَةٍ تَجْلُوْ لَدَىٰ مَنْ حَصَّلاَ
وَقَوْلُهُمْ يَسْتَلْزِمُ التَّعْطِيْلاَ   وَغَايَةَ التَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلاَ[1]

= بينهما صفةً كالفرق بينهما ذاتًا، ومن صفات الله تعالى العلم وقد وصف بعض عبيده بالعلم وليس علم الخالق كعلم المخلوق، والمقت والنداء والمحبة والمكر والكيد واليد والقوة كذلك وصف الله بها عباده ووصف بها نفسه، وكل من الخالق والمخلوق له صفة تليق به.

(١) والمعرضون عن المسلك السَّوي من الفلاسفة والقرامطة والجهمية اضطربوا فوقعوا في أشدَّ مما فروا منه.
فتارة يسلبون صفات الله، وتارة أخرى يشبهون الله بمخلوقاته.
وإن أثبتوا لا يُثبتون إلاَّ ربًّا لا حقيقة له عند التحصيل.
وقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، و«التمثيل» في البيت معطوف على لفظ: «التعطيل».

بيان أن الكلام في هذا يتبين بأصلين ومثلين وخاتمة

فَلْتَتَبَيَّنْ بَعْدَ هذَا مَثَلَيْن   خَاتِمةً، أَصْلًا، وَأصْلًا حَسَنَيْن

الأصل الأول

الْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ مِثْلُ ... الْقَوْلِ فِي بَعْضٍ، فَهَذَا أَصْلُ

فَإِنْ يَكُن صَاحِبَ سَبْعٍ خصمُكا ... يُثْبِتُهَا، وَفِيْ رضًا نَازَعَكَا

أَوْ غَضَبٍ وَقَالَ ذَا إِرَادَتُهْ ... أو العِقَابُ والرِّضَاءُ نِعمَتُهْ

فَاذْكُرْ لَهُ الأَصْلَ الَّذِي تَقَدَّمَا ... وكُنْ ذَكُورًا لِلَّذِي قَدْ نُظِمَا[1]

---

(١) تبيَّن الشيء كأبانه: أوضحه وعرَّفه ويأتي لازمًا، والمعنى فلتوضح لهؤلاء مثلين وخاتمة وأصلين، وحذف حرف العطف في «خاتمة» و«أصلاً» من باب: كيف أصبحت كيف أمسيت، أي: وكيف أمسيت، وتقدم نظيره.

الأصل الأول: القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

فإن يكن خصمك، أي: مجادلك يثبت لله تعالى بعض الصفات وينفي بعضها بأن كان أشعريًا أو ماتوريديًا يثبت سبع صفات أو أكثر وينازع في الرضا مثلاً أو الغضب ويجعلها من باب المجاز فيردهما إلى ما أثبته حقيقة وهو الإرادة، أو يجعل الغضب هو العقوبة والرضا نِعَمَه.

فقل له: الأصل المتقدم وهو: القول في بعض الصفات كالقول في بعض، ولا فرق بين ما نفيته وما أثبته. =

فَإِنْ يَقُلْ: فالْغَضَبُ الَّذي يُرامْ غَلْيُ دَم القَلْبِ؛ ابْتِغَاءَ الانْتِقَامْ
قِيلَ لَهُ: كَذَلِكَ الإِرَادَهْ مَيْلُ النُّفُوسِ فَافْهَمُوا يَا سَادَه
فَإِنْ يَقُل: تِلْكَ الصِّفَاتُ عَقْلاَ ثَابِتَةٌ لأَنَّ فِعْلًا دَلاّ
لِقُدْرَةٍ والْحُكْمُ لِلإِفَادَهْ بِالعِلْمِ والتَّخْصِيْصُ لِلإِرَادَهْ
وَهذِهِ الصِّفَاتُ لِلْحَيَاةِ وَالْحَيُّ لاَ يَخْلُوْ مِنَ الصِّفَاتِ
كَالسَّمْعِ والإِبْصَارِ والْكَلاَمِ أَوْ ضِدِّهَا فَقُلْ بِذَا المقَامِ
اعْلَمْ بِأَنَّ عَدَمَ الدَّلِيْلِ غَيْرُ مُفِيدٍ عَدَمَ المدْلُولِ
دَلِيلُكَ العَقْليُّ إِنْ لَمْ يُثْبِتِ فَغَيْرُ نَافٍ ثُمَّ ذَا كَالْمُثْبِتِ
فِي طَلَبِ الإِثْبَاتِ لِلدَّلِيْلِ وَيُمْكِنُ الْوُلُوجُ فِي سَبِيْلِ
إِثْبَاتِكَ العَقْلِيِّ فَيُقَالُ لَكْ: إِحْسَانُهُ إِلَىٰ العِبَادِ في الْفَلَكْ
دَلَّ عَلَى الرَّحْمَةِ كَدَلاَلَةِ تَخْصِيْصِهِ مَنْ شَا عَلَى الْمَشِيئَةِ
كَذَا عِقَابُ مُجْرِمٍ دَلَّ عَلَى بُغْضٍ كَمَا نَرى، وضِدُّهُ انْجَلاَ[1]

= والرضاء بالمد في الاضطرار على حد قوله: «ينشب في المسعل واللِّهاء». وقول الآخر: «مرحبًا بالرضاء منك وأهلاً». و«الرّضاء» بالمد في الاختيار: المُراضاة.

(١) فإن يقُل: أنا لا أثبت صفة الغضب؛ لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام. قيل له: والإِرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

وإن يقل: تلك الصفات السبع أثبتها بالعقل؛ لأن الفعل الحادث دلَّ على القدرة والتخصيص دلَّ على الإِرادة، والإِحكام دلّ على العلم. وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو غير ذلك، فقل له حينئذ:

اعلم أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول، هب أن دليلك العقلي لا =

....

= يثبت ذلك فإنه لا ينفيه، والنافي لا بدَّ أن يأتي بدليل كالمثبِت.

ويقال أيضًا في الجواب عليه: يمكن الولوج معك في الاستدلال العقلي الذي جعلته طريقًا لإِثبات ما أثبته.

فيقال: نفعُ العباد بالإِحسان إليهم يدلُّ على الرحمة كدلالة تخصيص الله تعالى من شاء على المشيئة، وعقاب المجرمين يدلُّ على بغضهم، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم.

الأصل الثاني

وَثانِيَ الأَصْلَيْنِ قُلْ: والْقَوْلُ فِي صِفَاتِهِ كَالْقَولِ فِيْ الذَّاتِ يَفِيْ
فَإِنْ يَكنْ خَصمُكَ مِنْ مُعْتَزِلَهْ ويُنْكِرُ الصِّفاتِ كُلاًّ قِيْلَ لَهْ
تَقُوْلُ: لَيْسَ خَارِجًا مَنْ يُوصَفُ إلاَّ الجُسُومُ، فَالَّذِيْنَ وَصَفُوْا
إلهَنَا بِالْعِلْمِ وَالحَيَاةِ قَدْ شَبَّهُوا الله بِمَخْلُوقَاتِ
نَقُوْلُ: ذَاكَ لاَزِمٌ فِي الأَسْمَا فَلَيْسَ في الْوجُودِ مِنْ مُسَمَّىٰ
إلاَّ جُسُومٌ فَانْفِ الأَسْمَاءَ إِذَنْ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْوجُودِ وانْبذنْ[1]

---

(١) **الأصل الثاني**: القول في الصفات كالقول في الذات، فالله لا شيء مثله في ذاته ولا صفته ولا فعله.

فإن يكن المخاطب من المعتزلة ينكر الصفات كلّها ويقول: إن الله تعالى حيّ عليم قدير وينكر أن يتّصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له: إن قلت: لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلاّ ما هو جسم، فالذين وصفوا الله بالعلم والحياة قد شبهوه بمخلوقاته.

إن قلت ذلك؛ فإننا نقول: يلزمك ذلك فيما أثبتّه من الأسماء؛ فإنه ليس في الوجود من المسميات إلاّ ما هو جسم فانف الأسماء إذن من أجل العلة التي منعتك من إثبات الصفات بل وانف كلّ شيء لهذه العلة.

وَإِنْ يَكُ الْخَصْمُ مِنَ الغُلاَةِ   نُفَاةِ الأَسْمَاءِ مَعَ الصِّفَاتِ
وَقَالَ: لاَ أَقُولُ: مَوْجُودٌ وَلاَ   حَيٌّ، فَمَنْ يَقُلْ بِذَاكَ مَثَّلاَ
وَلاَزِمٌ مِنْ عَدِّنَا تَعَدُّدُ   إِلَهِنَا وَالشِّبْهُ أَيْضًا يَرِدُ
فَقُلْ لَهُ: شَبَّهْتَهُ بِالعَدَمِ   سَوْفَ يَفِرُّ هارِبًا فِي الظُّلَمِ
لِلْجَمْعِ بَيْنَ المتَنَاقِضَاتِ إِذْ   يَسْلُبُ نَفْيًا مَعَ ضِدٍّ حِينَئِذْ[1]
وَهْوَ غَوِيٌّ مُفْصِحٌ عَنْ كِذْبِ   إِنْ قَالَ: ذَا تَقَابُلٌ لا سَلْبِي
تَقَابُلُ الْعَدَمِ قُلْ والْمَلَكَهْ   أَكْبَرُ مِنْهُ حَرَجًا وَهَلَكَهْ
إِنَّ الَّذي يُوْصَمُ باتِّصَافِ   بِصِفَةِ الكَمَالِ خَيْرٌ وَافِي[2]

---

(١) وإن يك الخصم من الغلاة الذين ينفون الأسماء والصفات ويقول: لا، أقول: هو موجود، ولا حيٌّ ولا عليم بل هذه أسماء لمخلوقاته ويلزم من تعدّد الأسماء تعدد المسمَّى ويرد على ذلك أيضًا التشبيه.
فقل له مجيبًا على شبهته: إن قلت ذلك شبهت الله تعالى بالمعدومات وهو أشنع مما فررت منه، ووقتئذ سوف يفرُّ هاربًا في ظلمة الجهل للجمع بين النقيضين.
فيقول: أنا أنفي النفي والإثبات، ومعلوم أن اجتماع النقيضين ممتنع إذ يستحيل اجتماع الوجود والعدم أو نفيهما وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل.

(٢) فإن قال: إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلاً لهما، وهذان ليسا من باب تقابل السلب والإيجاب بل من تقابل العدم والملكة فهو كاذب في ادّعائه؛ لأن هذا لا يصح في الوجود والعدم فإنهما متقابلان تقابل الإيجاب والسلب باتفاق وما فررت إليه من تقابل العدم والملكة أكبر من تقابل الإيجاب والسلب حرجًا وامتناعًا، فإن الذي يقبل الاتصاف بصفة الكمال كالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من «الحجر» مثلاً الذي لا يقبل الاتصاف بالعمى ولا البصر.

إِنْ يَتَّفِقْ ذَوَا وجُودٍ فِي سُمِيْ ... أَوْ صِفَةٍ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ نُمِيْ
لِلسَّمْعِ والْعَقْلِ انْتِفَاءً إِنَّمَا ... نَفِيُ الأَدِلَّةِ اشْتَرِاكًا لَزِمَا
فِيْمَا يَخُصُّ اللهَ أَمَّا نَفْيُكَ ... فَثَابِتٌ بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ لَكَا[1]
وَقَوْلُ نَافِي الْوَصْفِ: إِنَّ الْعِلْمَا ... وَقُدْرَةً يَلْزَمُ مِنْهُ ثَمَّا
تَعَدُّدُ الصِّفَاتِ، وَهْوَ حُظِرَا ... تَرِكِيبُهُ، فَقُلْ لَهُمْ دُوْنَ امْتِرا:
يَلْزَمُكُمْ؛ إِذْ قُلْتُمُ: مَوْجُودُ ... مَعُ وَاجِبٍ، قَالُوا: فَذَا تَوْحِيدُ
لَيْسَ بِتَرْكِيْبٍ ـ هُنَا ـ مَمْنُوعِ ... قُلْنَا لَهُمْ مَقَالَ ذِي تَفْرِيْعِ:
فَهكَذَا مَذْهَبُنَا الْمُقَدَّمُ ... بِكُلِّ وَصْفٍ قَدْ أَتَى، فَسَلِّمُوا[2]
وَذَاكَ بَابٌ ذُوْ انفِتَاحٍ مُطَّرِدْ ... وَكُلُّ نَافٍ مِنْهُمُ حِيْنَ يَرُدّ
شَيْئًا فِرَارًا مِنْهُ إِلاَّ وَقَعَا ... فِيْ مِثْلِهِ أَوْ أَضْيَقٍ، فَلاَ لَعَا[3]

---

(١) ويقال له أيضًا: إن اتفاق شيئين موجودين في اسم أو صفة ليس هو التشبيه الذي نفته الأدلة من السمع والعقل، إنما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يخص الخالق وما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل.

(٢) وقول نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدّد الصفات، وهذا يمتنع تركيبه. يقال لهم: يلزم التعدد أيضًا إذا قلتم: هو موجود، واجب الوجود، وهذا تركيب عندكم، فإن قالوا: هو توحيد وليس بتركيب ممتنع قلنا لهم قولاً مفرَّعًا حاصله أن مذهبنا فيما أثبتناه توحيد أيضًا وليس تركيبًا ممتنعًا.

وقولي: يلزم منه، بضمير الواحد، كقوله: (والصبحُ والمسيُ لا فلاحَ معهْ) وقول حسان ـ وقيل غيره ـ:

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ... ما لم يعاص كان جنونا

(٣) وذاك الذي تقدم ذكره آنفًا باب مطرد، فإن كل واحد من النفاة لما ثبت من الصفات لا يرد شيئًا من ذلك وينفيه فرارًا منه لما يعقبه من محذور إلاَّ وقع في نظير ما فر منه أو أضيق من ذلك. و«لا لعا» دعاء تقوله=

وَحُجَجٌ تِلْكَ زُجَاجٌ خِلْتُهَا   حَقًّا، وَكُلٌّ كاسِرٍ مَكْسُورُهَا[1]

= العرب لمن عثر؛ معناه: لا أقال الله عثرتك.

(١) قال أبو محمد: قولي: وحجج... إلخ. هذا البيت تضمن ثلاثة أخبار بمبتدءاتها وهو نظم لقول الشاعر:

حُجَجٌ تَهافَتُ كالزُّجاج تخَالُهَا   حقًّا وَكُلُّ كَاسرٍ مَكْسُورُ

ذكره في آخر «الحمويّة».

فصلٌ في ذكر المثلين

المثل الأول

هــذَا وَأَمَّـا الْـمَـثَـلانِ فَـهُـمَـا : أَنَّ إِلَـهَـنَـا تَـعَـالَـى أَعْـلَـمَـا
عَـنِ الَّـذِي فِـيْ جَـنَّـةِ الْـخُـلُـودِ مِـنْ مَـطْـعَـمٍ وَمَـلْـبَـسٍ وُخُـودِ
وذَهَـبٍ وَفِـضَّـةٍ وَمَـسْـكَـنِ وَعَـسَـلٍ وَقَـرْقَـفٍ وَلَـبَـنِ
والـشُّـهْـدُ والـرِّسْـلُ كَـذَاكَ الْـبَـاقِـي فِـي الـذَّاتِ والـلَّـونِ وَفِـي الـمَـذَاقِ
لاَ تَـسْـتَـوِي، لَـيْـسَ لَـنَـا مِـنْـهَـا عَـدَا أَسْـمَـائِـهَـا وَنَـحْـنُ فِـي دَارِ الـرَّدَىٰ
فَـإِنْ يَـكُـنْ تَـمَـاثُـلٌ قَـدْ عُـدِمَـا فـي ذَيْـنِـكُـمْ فَـاللهُ أَوْلَـىٰ مِـنْـهُـمَـا[1]

---

(١) وأما المثلان المضروبان؛ فأحدهما: أن إلَـهنا تعالى أخبرنا عما في الجنة من المطاعم والملابس والمناكح كالذهب والفضة والعسل والخمر واللبن، وهذه الأشياء التي هي العسل واللبن وباقي ما ذكر، في ذاتها ولونها وطعمها لا تستوي مع ما نطعمه ونلبسه مما في هذه الدار.

وقد قال ابن عباس: «ليس في الدنيا شيءٌ مما في الجنة إلاّ الأسماء»، فإن كان التماثل معدومًا بين هذه الأشياء وهي مخلوقة لله فمن الأولى ألاّ يكون تماثل بين الخالق والمخلوق.

وخُود بضم الخاء: جمع خود بالفتح، والقرقف: من أسماء الخمر، والرسل بالكسر: من أسماء اللبن.

مسألة في بيان مذاهب الناس فيما أخبر به الله عن نفسه وعن دار الجزاء

وَانْقَسَمَ النَّاسُ بِذَا المَقَامِ ثَلاَثَةً نَحْنُ وَذُو الكَلاَمِ
وَقُرْمُطٌ وَمَنْ تَلاَ وَالبَاطِنِي وَالْفَلْسَفِيْ ثَلاَثَةٌ فِيْ قَرَنِ
فَالأَوَّلُوْنَ أَثْبَتُوْا مَا أَخْبَرَا عَنْ نَفْسِهِ اللّٰهُ وَعَنْ دَارِ القِرَىٰ
وَذُوْ الكَلاَمِ أَثْبَتَ الجَزَا بِهَا دُوْنَ صِفَاتِ رَبِّنَا ثُمَّ انْتَهَى
ثَالِثُهُمْ لِنَفْيِ ذَا وَذَا وَفِيْ أَوَاخِرِ النَّظْمِ تَفَاصِيْلُ تَفِيْ(١)



---

(١) الناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نحن أصحاب الحق آمنا بما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الآخر مع العلم بالمباينة بين ما في الدنيا والآخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

الثاني: طوائف من أهل الكلام أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرًا من الصفات.

الثالث: القرامطة والفلاسفة أتباع المشائين والباطنية ونحوهم من الملاحدة، وقد نفوا هذا وهذا.

المثل الثاني

والْمَثَلُ الثَّانِي هُوَ الرُّوْحُ الَّتِي فِيْ جِسْمِنَا قَدْ وُصِفَتْ بِصِفَةِ
مِثْلِ الْحَيَاةِ والنُّزُولِ والصُّعُوْدْ وَقُدْرَةٍ والْعِلْمِ والسَّمْعِ الوجُودْ
وَكُلُّ عَقْلٍ قَاصِرٌ عَن حَدِّهَا؛ لأَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا مِثْلَهَا
والشَّيْءُ كُنْهُهُ يُرَىٰ بِعَيْنِ أَوْ كُنْهِ مِثْلٍ مُبْصَرٍ فِي الْكَوْنِ
فإِنْ تَكُنْ تَجْهَلُ كَيْفَ رُوْحُكَا، وَهْيَ الَّتي أَوْجَدَهَا فِي جَوْفِكَا
فَرَبُّنَا أعْظَمُ قَدْرًا وأَجَلّ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَا شَبِيهٍ أَو مَثَلْ[1]



(١) المثل الثاني: هو الروح التي فينا قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية مثل الحياة والنزول والصعود... إلخ. والعقول قاصرة عن تكييفها وحدّها لأنها لم تشاهد نظيرًا لها، والشيء يدرك كنهه بمشاهدته أو مشاهدة نظيره، فإن تكن تجهل روحك التي في جسمك من حيث كيفية ذاتها وصفاتها وكانت الروح مباينة لما يشاهد من المخلوقات فالله تعالى أولى بذلك وهو أجلُّ من أن يكون له شبيه أو مثيل.
ومَثَل كجبل، ومَثيل كأمير، ومِثل كحِمل سواء، وكذلك شَبَه وشَبيه وشِبْه، وبَدل وبَديل وبِدل.

الخاتمة
وفيها ستُّ قواعدَ

خَـاتِـمَـةٌ جَـامِـعَـةٌ قَـوَاعِـدَا　　نَـافِـعَـةٌ حَـاوِيَـةٌ فَـوَائِـدَا

القاعدة الأولى

أوَّلُهَا بِأَنْ يُقَال هَهُنَا: ... بالنَّفْي والإِثْبَاتِ وَصْفُ رَبِّنَا
كَالْعِلْم وَالْكَلامِ وَالْحَيَاةِ ... وَغَيْرِهَا مِنْ صِفَةِ الإِثْبَاتِ
والنَّفْيُ مَحْضًا لَيْسَ مَدْحًا أَوْ كَمَالْ ... لِرَبِّنَا وَعَدَمٌ بِكُلِّ حَالْ
وَإِنَّمَا يُمْدَحُ بِالنَّفْي إِذَا ... حَوَى الْكَمَالَ مَعَ نَفْي واحْتَذَا
كَنَفْي نَوْمٍ وَلُغُوبٍ سِنَةِ ... وَالْعَجْزِ والنِّسْيَانِ والصَّاحِبَةِ
مِنْ ثَمَّ قَالَ ابْنُ سُبُكْتَكِينِ: ... مَيِّزْ لَنَا إِنْ كُنْتَ ذَا يَقِيْنِ
بَيْنَ إِلَهِكَ الَّذِيْ أَثْبَتَّهُ ... وَبَيْنَ مَعْدُومٍ فَحَادَ وَقْتَهُ[1]

---

(١) هذه الخاتمة التي وعدنا بها قبل، وقد جمعت قواعد نافعة حوت فوائد جمة، ولفظ: «قواعد» و«فوائد» ممنوع من الصرف والألف للإطلاق لا منقلبة عن تنوين فلا ضرورة.

القاعدة الأولى: أن يقال: إن الله تعالى موصوف بالإثبات كالعلم والكلام والحياة وموصوف بالنفي كنفي النوم واللغوب والسِّنة... قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح أو كمال إلاَّ إذا تضمَّن إثباتًا، وإلاَّ فمجرّد النفي المحض عدم محض ليس بشيء، ومن هنا قال الإمام الصالح محمود بن سُبكتَكين لمن ادّعى ذلك ووصف الله تعالى بصفات=

. . . .

= السّلب على سبيل النفي المحض: ميّز لنا بين هذا الرَّب الذي تثبته وبين المعدوم، فلم يُحرْ جوابًا. وحاد عن الجواب وقته ذاك.

القاعدة الثانية

ثَـانَـيـةُ الـقَـواعِـدِ الإيْـمَـانُ بِـكُـلِّ مَـا جَـاءَ بِـهِ الْـقُـرْآنُ
وَذُو الْـبَـلاَغِ ـ وَهُـوَ الـمُـصَـدَّقُ ـ وَإِنْ خَفِيْ، وَمِثْلُهُ ما اتَّفَقُوْا[1]
وَالـنَّـاسُ إنْ تَـنَـازَعُـوا فِـي أمْـرِ كَـجِـهَـةٍ تَـحَـيُّـزٍ وَغَـيْـرِ
فَـلَـيْـسَ لِـلإِنْـسَـانِ أَنْ يُـوَافِـقَـا نَـفْـيًـا وَإِثْـبَـاتًـا عَـلَـيْـه مُـطْـلَـقَـا
لِـجَـهْـلِـهِ الـمُـرَادَ، ثُـمَّ إِنْ عَـرَفْ إنْ كَانَ حَقًّا قَبِلَهْ أَوْ لَيْسَ: كَفّ
فَـإِنْ عَـنَـىٰ بـالْـجِـهَـةِ الْـفَـوقِـيَّـهْ فَـذَاكَ حَـقٌّ بـالِـغُ الْـحَـتْـمِـيَّـهْ
وَإِنْ عَـنَـىٰ أَنَّ الإِلَـهَ داخِـلُ فِـي خَـلْـقِـهِ فَـذَاكَ قَـوْلٌ بَـاطِـلُ
فَـالْـغَـرَضُ: الْـمَـعْـنى، وَأَمَّا لَفْظُهُ فَـلَـمْ يَـرِدْ عَـنِ الـنَّـبـيِّ حِـفْـظُـهُ[2]

---

(١) **القاعدة الثانية**: الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه والمبلِّغ عنه ﷺ وإن خفي معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمَّة وأئمتها.

(٢) وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا كالجهة والتَّحيُّز وغير ذلك فليس على أحد بل ولا له أن يوافق على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف المراد من قائله؛ لأنه جاهل به، فإن عرف المراد فلينظر إن كان حقًّا قبله أو ليس حقًّا كفَّ عن الخوض في ذلك.

فمثلاً: إن عنى ذاكر الجهة بالجهة: الفوقية، فذاك حق حتميته بالغة، =

. . . .

= وإن أراد أن الإله داخلٌ في خلقه فهو قول باطل.

إذن؛ فالغرض المعنى ومقصود القائل، وأما اللفظ فلم يرد نقله عن النبي ﷺ ولا عن السلف. ولذلك كان الوقف عن استعمال هذا ومثله أسدّ، وسيأتي بيانه بعد هذا .

والهاء في «قَبله» بإسكانها وصلاً لغة عند بني عقيل وبني كلاب ومنه قول ابن الأحول الأزدي: ومَطْوايَ مُشتاقان لهْ أَرِقانِ.

وقول الآخر: إلأ أن عيونَهْ سال واديها.

مسألةٌ

وَالْجِسْمُ، وَالْجَوْهَرُ، ثُمَّ الْعَرَضُ تَحَيُّزٌ، أَسْلاَفُنَا لَمْ يَرْتَضُوْا
وَإِنْ يَقُلْهَا مُفْهِمٌ مُوَافِقُ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ فَذَاكَ رَائِقُ
كَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ، والوَقْفُ أَسدّ عَنْ كُلِّ لَفْظٍ مَا بِهِ الوَحْيُ وَرَدْ
وَقَالَ سُحْنُونٌ: مِنَ الْعِلْمِ بِهِ الصَّمْتُ عَمَّا لَمْ يَصِفْ نَفْسًا بِهِ[1]

---

(١) ولفظ الجسم والجوهر والعرض لم ينطق بها السلف، ولو ارتضوها لذكروها. وقال شيخ الإسلام: «إن قالها موافق غير مخالف على سبيل الإفهام وإظهار الحق فلا بأس». كذا قال رحمه الله، غير أن الأولى والأسدّ الوقف والإمساك عما لم يرد ذكره وإن كان على سبيل الإفهام.

وقد ظن بعض الأفاضل من ذوي النظر أن هذا من باب مخاطبة كل قوم بلسانهم.

وليس كذلك لأننا نفهمهم بمعنى ما ورد لا بمعنى ما لم يرد، ولأن هذا لو أطلق بشرط موافقة القائل الصواب في المعنى المراد لما كان لآخره حدّ ولجاز أن يقول قائل: الله تعالى عاقل، ومرادي من ذلك أن الله حكيم يضع الشيء في موضعه، والله جسم أريد بذلك أن له يدين ووجهًا وعينًا وقدمًا وساقًا لا تشابه المخلوقين.

أفيصح أن يقال: إن كنت تريد ذلك وتقول: «هو جسم لا كالأجسام»=

. . . .

= فحق، وإن أردت بذلك تشبيهه بخلقه فهو ممتنع؟

الجواب: لا. وإذ ذلك كذلك فالصمت هٰهنا أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً، ولذلك كان بعض السلف يقول ـ ومنهم سحنون ـ: «من العلم بالله الصمت عما لم يصف نفسه به». والله تعالى أعلم.

القاعدة الثالثة

ثَالِثُهَا: فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ ظَوَاهِرِ النُّصُوْصِ، فَاحْفَظْ واسْتَبِنْ
إِنْ قَالَ قَائِلٌ: عَدَا الصِّفَاتِ، لاَ يَجُوزُ إِجْرَاءٌ عَلَيْهِ مُسْجَلاَ
فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَفْظُ الظَّاهِرِ كَمُجْمَلٍ وَذِي اشْتِرَاكٍ ظَاهِرِ
وَلَمْ يَكُنْ أَسْلاَفُنَا يَعْنُوْنَا بِالظَّاهِرِ: التَّمْثِيْلَ بَلْ يَبْنُونَا
ظَاهِرَهَا عَلَىٰ مُرَادِ الشَّرْعِ فَالظَّاهِرَ الْزَمْ أَصْلَهُ كَالْفَرْعِ[1]

---

(١) ظاهر النص: هو ما يحتمله النَّص من معنى متبادر. والواجب عدم الخروج عن ظواهر النصوص، فإن حصل ما يوجب الخروج عن مقتضى الظاهر من نقل صحيح أو عقل صريح أو ضرورة حس أو لغة كان ذلك الموجب ظاهرًا آخر يعمل بمقتضاه، وما يؤدِّي إلى التحريف ليس بظاهر موجب بل هو نوع من اللعب، وكذلك ما أدرج فيه العقل مما ليس له فيه مجال، ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها، فإن قال قائل: يعمل بالظاهر فيما عدا الصفات فإنه لا يجوز إجراؤها على ظاهرها، فجوابه أن يقال له: ماذا تريد بالظاهر؟ أتريد ما يظهر من المعاني اللائقة بالله من غير تشبيه ولا تمثيل؟ فهذا هو مراد الشرع أم تريد بالظاهر التمثيل؟ فهذا غير مراد، ولم يكن أسلافنا يعنون بالظاهر التمثيل الذي عنيته بل كانوا يحملونه على مراد الشرع، فالواجب لزوم الظاهر وإجراء النصوص عليه في الأصول والفروع.

أَمَّا حَدِيْثُ «جُعْتُ لَمْ تُطْعِمْنِي» كَذَا «الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ»
فَأَوَّلٌ مَعْنَاهُ فِي آخِرِهِ وَالثَّانِ لاَ يُدْرَكُ مِنْ ظَاهِرِه
من اتِّصَالٍ وَلُصُوْقٍ أيُّ شَيّ بَلْ ذَا نَظِيْرُ هذِهِ بَيْنَ يَدَيّ
وَكَالسَّحَابِ بَيْنَ أَرْضٍ والسَّمَا هَلْ يَقْتَضِي مَسَّهُمَا يَا مَن سَمَا؟[1]
لاَ تَجْعلِ اللَّفْظَ نَظِيْرًا للَّذِي لَيسَ نَظِيرَهُ فَهَذَا غَيْرُ ذِي
مِثْلُ الْيَدَيْنِ ثُنِّيَا والأَيْدِيْ مَجْمُوعَةً وَالْقَيْدُ غَيْرُ الْقَيْدِ

---

(١) والذين أوجبوا الخروج عن ظواهر نصوص الصِّفات غلطوا من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ فيخرجون عنه ظانِّين أن ظاهره غير مراد، وتارة يردّون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل، فالأول مثل الحديث الذي رواه مسلم وفيه: «**عبدي جعت فلم تطعمني...**»، وكذلك حديث: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن**»، فقالوا في الأول: إجراؤه على الظاهر يوجب أن نقول: الله يجوع. يقال لهم: لو تأملتم النص كله لتبين لكم هنا فساد ما ذهبتم إليه، فهذا معناه في آخره إذ جاء فيه: «**أما علمت أن عبدي فلانًا جاع فلم تطعمه فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي**». وقالوا في الحديث الثاني: ظاهر الحديث أن القلوب بين أصابع الرحمن وهذا يلزم منه الاتصال والملاصقة. فيقال لهم: هذا ليس بلازم؛ لأن لفظ بين لا يلزم منه المباشرة والملاصقة بل هذا نظير قولك: هذه بين يديَّ ـ تريد السترة مثلاً ـ ومثله قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وكونه بينهما لا يلزم منه المماسَّة.

ومثال الوجه الثاني هذا الحديث أيضًا، فإنهم قالوا: ظاهر الحديث أن لله أصابع، والأصابع جوارح، وهذا فاسد فهو غير مراد. فإنه يقال لهم: ليس الأمر ما ظننتم من معنى فاسد، فالله تعالى له أصابع تليق به لا تشبه أصابع المخلوقين، وعلى هذا المعنى ينتفي الفساد باتفاق العقلاء.

وَتِـلْـكَ أُسْـنِـدَ إِلَـىٰ الـمُـعَـظَّـمِ والأَيْدِ فِعْلُهَا إِلَيْها مُنْتَمِي[1]

---

(1) ومما يشبه هذا الخطأ أن يجعل اللفظ نظيرًا لما ليس نظيره كخطأ من جعل قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. فيكون المراد باليد واحدًا في الآيتين وهذا خطأ؛ لأن بينهما فرقًا ثابتًا من وجوه: منها:

ـ أن الفعل في الأول أُضيف إلى الله، وهو معنى قولي: وتلك أُسند إلى المعظَّم وهو الله تعالى، وأما الآية الثانية؛ فإن الفعل فيها أُضيف إلى الأيدي، فظهر بطلان جعلهما نظيرين لله من هذا الوجه.

ـ ومنها: أن القيد في الأولى غير القيد في الثانية وذلك أن قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ قيَّده بالباء وهو كقول القائل: صنعتُ هذا بيديّ فالصانع هو فاعل الصنع ومجْرور الباء هو المباشر للصنع.

وأما الآية الثانية؛ فلم يكن ذلك القيد موجودًا إذ لم يقل: «مما عَمِلنا بأيدينا»، لكن أضاف الفعل إليها و«نا» مضاف إليها فكان المعنى: مما عملنا أنعامًا، وهو كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: كسبتم.

القاعدة الرابعة

رَابِعَةُ الْقَوَاعِدِ الْعَوَالِيْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنْ ذَوِي الْجِدالِ
تَمَاثُلًا ـ تَوَهُّمًا ـ فِي الصِّفَةِ فَرَاحَ يَنْفِي وَاقِعًا فِي أَرْبَعَةِ
تَمْثِيْلُهُ لله مَعْ تَعْطِيْلِ نصٌّ ونَفْيُ صِفَةِ الجَلِيْلِ
وَرَابِعٌ: وَصْفُ الإِلهِ الأَكْرَمِ بِضِدِّ تِلْكَ مِنْ صِفَاتِ العَدَمِ
مِثالُهُ: أَنَّ النُّصُوْصَ دَلَّتِ عَلَىٰ اتِّصَافِ الرَّبِّ بِالْفَوقِيَّةِ
وَلَيْسَ فِي الْوَحْيِ دُخُوْلُهُ وَلاَ خُرُوجُهُ عَنْ عَالَمٍ لَكِنْ عَلاَ
فَحَسِبُوْا الوَصْفَ بالاسْتَواءِ ثُمَّ عُلُوِّ الحَقِّ فِي السَّمَاءِ
مِثْلَ عُلُوِّ الْخَلْقِ فِي الهَيْئَاتِ وَمِثْلَهُمْ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ[1]

(١) رابعة القواعد: أن كثيرًا من الناس ظن التماثل ـ على سبيل التوهم ـ في صفات الله تعالى بينها وبين صفات المخلوقين فذهب فهمه ينفي ذلك فوقع في أربعة محاذير:

الأول: كونه مَثَّل ما فهمه من صفات الله بصفات المخلوقين.

الثاني: تعطيله للنص وما تضمنه من الصفات بسبب ما حدث في فهمه من آفة التمثيل التي وردت عليه أولاً.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم. =

وَقَوْلُهُ: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من يَظُنّ أنّ الإِلٰـهَ دَاخِـلَ الـسَّـمَـاءِ كَـنّ
فـهْـوَ أَضَـلُّ مِـنْ حِـمَـارِ أَهْـلِـهِ بِـلاَ خِـلاَفٍ لِـشَـنِـيْـعِ جَـهْـلِـهِ
فَـ«فِي» الَّتِي لِلظَّرْفِ قَدْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَجْرُورِ، وَهُوَ يُعْرفُ
بِمِثْلِ: هـٰذَا الشَّيْءُ فِي المَكَانِ والْجِسْمُ فِي الْحَيِّزِ ذُوْ إِمْكَانِ
وَالْـوَجْهُ فِـي الْـمِـرآة، وَالْـكَـلاَمُ فِـي وَرَقٍ تَـخُـطُّـهُ الأَقْـلاَمُ
وَكُـلُّ نَـوْعٍ مِـنْ ذِهِ الأَنْـواعِ عَـنْ نَظِيْرِهِ يَمْتَازُ فَافْهَمْ واسْتَبِنْ[1]

= **الرابع**: وصفه لله تعالى بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات وغيرها.

مثال ذلك: أن النصوص كلّها دلت على وصف الإله بالفوقية والعلو على المخلوقات، وليس في الكتاب والسنة وصفه بأنه داخل العالم ولا خارجه، بل الذي ورد وصفه بالعلوّ كما تقدم، فيحسب المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش أو بالعلوّ على خلقه كان ذلكم كاستواء الإنسان وعلوّه في الهيئة والفعل وغير ذلك من الصفات .
وهمزة «أربعة» في البيت الثاني مدرجة كقول أبي الأسود: يا ابا المغيرة رُبَّ أمر مُعضِلٍ. وقول الطرمَّاح: ألا أيها الّليلُ الطويل ألا اصبح. وكقول الثالث: ألا ابلغ حاتمًا وأبا عليٍّ، بإسقاط همزات «أبا» و«أصبح» و«أبلغ».

(١) ومن توهم أن مقتضى قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أن يكون الله في داخل السمٰوات فهو جاهل ضال باتفاق، فإن «في» حرف متعلق بما قَبْلَهُ وبَعده فهو بحسب ما يضاف إليه، ولهذا يفرق بين كون الشيء في المكان وكون الجسم في الحيّز وكون الوجه في المرآة وكون الكلام في الورق، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصيَّة يتميز بها عن غيره، وعليه: فلو قلنا: العرش في السماء، لما استلزم ذلك أن يكون داخلها كما تقدَّم.

وَالـمُـسْـتَـقِـرُّ فِـي قُـلُـوبِ الْـخَـلْـقِ أَنَّ الْـمَـلِـيْـكَ فَـوْقَ كُـلِّ خَـلْـقِ

لِـذَاكَ لَـمَّـا قَـالَ لِـلْـجَـارِيَـةِ نَـبِـيُّـنَـا: أَيْـنَ الإِلَـهُ؟ قَـالَـتِ

- وَقَدْ أَرَادَتِ الْعُلُوَّ -: في السَّمَاءِ بِـفِـطْـرَةٍ بَـرِيْـئَـةِ الأَدْوَاءِ[1]

---

(١) لما كان المستقر في قلوب الخلق أن الله المليك فوق كل خلقه كان المفهوم من قوله: إنه في السماء أنه في العلو، ومن ثم قالت الجارية حين سألها النبي ﷺ **«أين الله؟»**: في السماء، قالت ذلك بفطرة سليمة بريئة من الشوائب. والأدواء جمع داء.

القاعدة الخامسة

خَامِسَةُ الْقَواعِدِ الْمُهِمَّهْ أنَّ خِطَابَ رَبِّنَا لِلأُمَّهْ
مِنْ جِهَةٍ نَعْلَمُهُ وَجِهَةٍ نَجْهَلُهُ وَارْجِعْ لِمَعْنَىٰ آيَةٍ
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ حتى ﴿الأَلْبَابْ﴾ وانظر مقال الراسخين الألْبَابْ
إذْ نَعْلَمُ الْمَعْنَىٰ ولكِنْ نَجْهَلُ كَيْفِيَّةَ الصِّفَاتِ يَا مَنْ يَعْقِلُ
وَاخْتَلَفَ الْفُحُولُ في ﴿وَالرَّاسِخُونْ﴾ فَالابْتِدَاءُ يَرتَضِيْهِ الأَكْثَرُون
وَاخْتَارَهُ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ حَزْمِ وابْنُ الوَزِيْرِ، واعْطِفَنْ لِقَوْمِ
كَالْحَبْرِ فِيْ قَوْلٍ، وَنَجْلِ جَبْرِ وَهُوَ الصَّوَابُ لِدَلِيْلٍ يَفْرِي
وَفَصَّلَ الشَّيْخُ: إن التَّأويلُ جَا حَقِيْقَةً قِفَنْ، أَوِ: الفَسْرَ امْزِجَا[1]

---

(١) القاعدة الخامسة: أن ما خاطبنا الله به نعلمه من وجه دون وجه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] وقد روي عن مجاهد وطائفة: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله. والعلماء مختلفون في الواو في «والراسخون» قيل: للاستئناف، وعليه الأكثر، =

وَلَفْظُ تأْوِيْلٍ لَهُ مَعَانِيْ: حَقِيْقَةٌ أَوَّلُهَا، والثَّانِي
صَرْفُ كَلاَمٍ الاِحتمالِ الرَّاجِحِ إِلَىٰ احْتِمالٍ لِدَلِيلٍ وَاضِحِ
وَالثَّالِثُ التَّفْسِيرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مُفَسِّرِي الْكِتَابِ كَابْنِ الطَّبَرِيْ
مَعْنَىٰ الصِّفَاتِ: مُحْكَمٌ لاَ مُشْتَبِهْ فِي الذِّكْرِ فَاحْذَرْ أَن تكُونَ كالسَّبِهْ
لَكِنَّهَا فِي الْكَيْفِ مِنْ مُشْتَبِهِ وَبَاحِثٌ عَنْهُ دَلِيْلُ رِيبِهِ
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةٍ وَالأشْبَهُ: الْفُقَهَاءُ الْعَالِمُونَ أَنْبَهُ
بِبَعْضِ مَعْنًى مِنْ ذَوِي اللُّغَاتِ مِثْلُ اشْتِمَالٍ جَاءَ فِي الصَّلاَةِ[1]

= واختاره ابن حزم في الإحكام وغيره، وابن الوزير في «الترجيح» وغيره، وقيل: للعطف وهو لابن عباس في أحد قوليه ومجاهد، وهو الصواب للدليل القاطع، وهذا على القول بأن معنى التأويل: التفسير.

وفصَّل شيخ الإسلام وجمع بأحسن جمع فقال: إن فسر التأويل بالحقيقة فالوقف تام، وإن كان بمعنى التفسير فالواو للعطف، و«امزجا» بمعنى اخلطا، والمراد الوصل، والألف فيه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة. والحِبر: بفتح الحاء وهو الأشهر، وبالكسر هو الأفصح، والمراد: ابن عباس.

(١) ولفظ «التأويل» له ثلاثة معان؛ الأول: الصفة التي يؤول إليها الكلام. والثاني: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به. الثالث: التفسير وأكثر المفسرين يستعمله كابن جرير وغيره. والصفات من حيث المعنى من باب المحكم إذا فسر المحكم بأنه ما اتضح معناه أو بنحوه من الأقوال وهي ـ أي: الصفات ـ من المتشابه من حيث الكيفية. والسَّبه بفتح فكسر: من ذهب عقله.

ولهذا يقول أبو عبيدة وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في تفسير: «اشتمال الصماء»، فالفقهاء يعلمون تفسير ما جاء في الشرع لعلمهم بمقاصده.

وَقَسَّمَ الْبَحْرُ التَّفَاسِيْرَ إِلى: تَفْسِيرِ اخْتَصَّ بِهِ اللّٰهُ عَلاَ
وَبَعْضُهُ الأَحْبَارُ أَوْ مِنْ لُغَةٍ وَبَعْضُه العُمُومُ مِنْ ذِي الأُمَّةِ
وَالْمُحْكَمُ: الْوَاضِحُ أو: مَا أَحْكَمَا مَعْبُودُنا حَلاَلَهُ وَحَرَّمَا
أَوْ: نَاسِخٌ أَوْ: كَانَ لَمْ يَحْتَمِلِ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهٍ، وَقِيْلَ: مَا تُلِيْ
غَيْرَ مُكَرَّرٍ وَقِيْلَ: مَا فَهِمْ مَعْنَاهُ ذُو عِلْمٍ، وَقِيلَ: ما انْتَظَمْ
مَعْنَاهُ مَعْقُولًا، وَقِيْلَ: ما وَجَبْ وَذُوْ تَشَابُهٍ: بِضِدِّ مَا كُتِبْ[1]

---

(١) قسم الحبر ابن عباس التفسير إلى أربعة أقسام؛ الأول: قسم اختص الله بعلمه. والثاني: يعلمه العلماء. والثالث: يعرف من لغة العرب، والرابع: يعلمه عامة الناس ولا يعذر أحد بجهله. واختلف المفسرون في معنى المحكم والمتشابه على ثمانية أقوال، ذكرت في النظم أقوالهم في المحكم وبمعرفة معناه يعرف معنى المتشابه وأشرت إلى ذلك في الآخر بقولي: «وذو تشابه بضد ما كتب».

والأقوال هي: الأول: المحكم: ما اتضح معناه والمتشابه ما لم يتضح معناه. الثاني: المحكم: ما أحكم الله حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه، والمتشابه: ما ليس كذلك. الثالث: المحكم: الناسخ، والمتشابه: المنسوخ. الرابع: المحكم: ما لم يحتمل معناه إلاَّ وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل أوجهًا. الخامس: المحكم: الذي لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه: الذي تكررت ألفاظه. السادس: المحكم: ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه، والمتشابه: ما ليس كذلك وفي الفرق بينه وبين الأول دقة. السابع: المحكم: ما انتظم معاني أحكام معقولة، والمتشابه: ما كانت معاني أحكامه غير معقولة كأعداد الصلوات ونحو ذلك. الثامن: المحكم: الفرائض، والمتشابه: النافلة. هذا ما اشتمل عليه النظم مما جمع من كتب التفسير، ويمكن أن يكون لكل منهما أكثر من معنى، والوجه الخامس بعيد. والله أعلم.

القاعدة السادسة

وَبَعْدَهَا قَاعِدَةٌ فِي ضَبْطِ مَا يَجُوزُ لِلّهِ وَمَا لاَ يُنْتَمى
إِذْ لاَ يَصِحُّ الاعْتِمَادُ مُسْجَلاَ عَلَيْهِمَا مُجَرَّدَيْنِ حَيْثُ لاَ
شَيْئَانِ مَوْجُودَانِ إلاَّ اشْتَرَكَا فِي صِفَةٍ وافْتَرَقَا هُنَالِكَ
فَمَنْ نَفَىٰ كَرَاهَةَ التَّشْبِيهِ قِيْلَ لَهُ: مِنْ سائِرِ الوُجوهِ؟
مُمْتَنِعٌ تَمَاثُلٌ، وَإنْ تُرِدْ: مِنْ بَعْضِ وَجْهٍ فَهْوَ أَمْرٌ يَطَّرِدْ
فِي كُلِّ مَا تُثْبِتُهُ والْمِثْلُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بَاطِلٌ لاَ يَعْلُوْ
إِنَّ الحَيَاة ـ مَثَلًا ـ مُشْتَرَكَهْ بَيْنَ إِلهِ الْخَلْق وَالْمَلاَئِكَهْ
في مُطْلَقِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِي يُخَصّ لَمْ تَقَعِ الشِّرْكَةُ فِيْه فَلْيُخَصّ
وَاخْتَلَفُوْا إِذْ فَسَّرُوْا التَّشْبِيهَا وَخُلْفُهُمْ دَلَّ عَلَىٰ مَا فِيْهَا[1]

(١) القاعدة السادسة: في ضبط ما يجوز لله نسبته وما لا يجوز إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي التشبيه، أو مطلق الإثبات من غير تشبيه ليس بسديد، وذلك أنه: ما من شيئين إلاَّ بينهما جهة افتراق وجهة تلاق، فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه كراهة التشبيه، قيل له: إن أردت أنه مماثل من كل وجه فهذا باطل، وإن أردت أنه مشابه من بعض الوجوه لزمك طرده في كل ما تثبته، ومعلوم أنه بهذا التفسير يمتنع التشبيه إذ لا يقول به عاقل، فإذا قلنا: صفة الحياة اتصف بها الباري جل ذكره=

. . . .

= والملائكة والبشر ـ والجميع متفق في مطلق الاتصاف بها ـ لم يقتض ذلك المشابهة لأنهم لم يشتركوا فيما يختص به كل متصف بها .

فتبين بهذا؛ أنه إن قصد بالنفي التشابه من كل وجه بين الخالق والمخلوق لم يقل به أحد، وهذا أحد الوجهين اللذين يعلم بهما أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي على مجرد نفي التشبيه .

الوجه الثاني: أن الناس اختلفوا في تفسير التشبيه فالمعتزلة يرون أن من أثبت لله تعالى علمًا قديمًا مشبّه، والأشعرية لا يرون ذلك؛ ويقولون: هذه الصفات قد تقوم بما ليس جسمًا، ويرون أن العلو لا يقوم إلاً بجسم؛ وإثباته يستلزم التشبيه.

والمراد من لفظ: «مسجلا» مطلقًا ومعناه ـ كما في القاموس ـ: المبذول المباح لكل أحد.

فصلٌ

وَضَابِطُ النَّفْيِ ـ هُنَا ـ أَنْ تَمْنَعَا … عَيْبًا وَنَقْصًا وَتَمَاثُلًا دَعَا
وَضَابِطُ الإِثْبَاتِ: أَنْ لاَ تُثْبِتَا … إلاَّ الَّذِيْ لِنَفْسِهِ قَدْ أَثْبَتَا
وَلَوْ يَجُوزُ كُلُّ إِثْبَاتٍ بِلاَ … تَشْبِيْهِهِ لَجَازَ أَن لاَ يُحْظَلاَ
وَصْفٌ بِحُزْنٍ وَبُكَا مَعْ قَوْلِنَا … لَيْسَ كَحُزْنٍ وَبُكَاءِ مِثْلِنَا(١)

---

(١) والحاصل أن ضابط النفي هو: نفي كل صفة عيب عن الله كالعمى والصمم، ونفي كل نقص في كماله كنقص علمه أو عزته، ونفي مماثلته للمخلوقين، وضابط الإِثبات أن لا نثبت لله تعالى إلاَّ ما أثبت لنفسه من صفات كمالية دون تشبيه أو تمثيل أو تحريف أو تعطيل، وهذا الضابط يتضمن أمرين:

الأول: أن لا نثبت لله إلاَّ ما أثبته لنفسه.

الثاني: إثباتنا لما ثبت مبنيّ على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي: على نفي التشبيه، ولو جاز كل إثبات مع نفي التشبيه لجاز أن لا يمنع وصف الله تعالى بالحزن والبكاء مع القول بأنه يحزن لا كحزن المخلوق ويبكي لا كبكائه.

تنبيه

ثُمَّ الَّذِيْ تَضَمَّنَ التَّصْدِيْقَا بِالشَّرْعِ وَالأَقْدَارِ ثَمَّ سِيْقَا

بَيْنَ ثَنَايَا النَّظْمِ تِبْرًا نُظِمَا وَالْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى مَا أَفْهَمَا[1]



(١) ذكر في أول التدمرية وفي النظم الكلام في التوحيد (توحيد الله تعالى في أفعاله وأسمائه وصفاته) الذي هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، وما نظم من التدمرية هو من هذا الباب، وأما القسم الثاني الذي في الشرع والقدر فقد سبق الكلام عنه في أوَّل النظم وسيأتي ما يتبعه والحمد لله على ما يسّر وقدَّر. و«ثم» بمعنى: هناك.

و«ثنايا»: جمع ثَنِيَّة. و«تبرًا»: حال، وهو فتات الذهب والفضة أو هما معًا.

بابٌ
فيمن آثر مذهبَ الخلف، والردّ عليهم
وهو مما تضمنته «الحموية»

وَالْـمُـوثِـرُون مَـذْهَـب الأخْـلاَفِ ... عَـلَـى طَـرِيـقِ مَـنْـهَـجِ الْأسْـلاَفِ
هُمُ أُتُوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا السَّلَفَا ... قَدْ حَفِظُوا الْوَحْيَيْنِ حِفْظًا وَرَفَا
مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ، وَطَرِيقُ الْخَلَفِ ... فَهْمُ الْمَعَانِي يَا لَهُ مِنْ جَنَفِ
مِنْ ثَمَّ قَالُوا: إنّهُمْ هُمْ أَسْلَمُ ... ونَـحْـنُ أَعْـلَـمُ بِـهِ وَأَحْـكَـمُ[(١)]
أَكْذَبُهُمْ قَوْلُ الَّذِينَ خَاضُوْا ... ثُمَّ تَأَمَّلُوْا وهُمْ مِرَاضُ
عِنْدَ مَماتٍ (خُضْتُ بَحْرَ الْيَمِّ ... والْآنَ ذَا أَمُوتُ مِثْلَ أُمِّي)
(نِهَايَةُ الإِقْدَامِ بِالْعَقْلِ عِقَالْ ... وَأَكْثَرُ السَّعي لِعَالَمٍ ضَلاَلْ)

---

(١) والمؤثرون مذهب الخلف على مذهب السلف أُتوا من حيث إنهم ظنوا أن السلف طريقتهم حفظ الكتاب والسنة والإيمان بهما دون فقه، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة بأنواع المجازات وغرائب اللغات، ومن ثمَّ قالوا: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. والأخلاف: جمع خلف كالأسلاف، و«ورف» الظل: امتد وطال.

(سَيَّرْتُ طَرْفِي بَينَ كُلِّ مَعْلَمِ — فَمَا رَأَيْتُ غَيْرَ عُقْبَى النَّدمِ)

وَأَكْثَرُ النّاسِ شُكُوكًا ذُو الْكَلاَمْ — عِنْدَ مماتِهِ كَمَا قَالَ الإِمَامْ[1]

مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الْهَادِ لَمْ — يُبَيِّنِ الدِّيْنَ جَمِيعًا وَكَتَمْ

ذَا البَابَ وَهْوَ مُوْضِحٌ لهم جَمِيعْ — أُمُورِهِمْ حَتَّى الْكَلاَمَ في الرَّجِيعْ

وَهْوَ عَلَى الْبَيْضَاءِ صَحْبَهُ تَرَكْ — فَمَنْ يَزِغْ عَنْ نَهْجِهِ فَقَدْ هَلَكْ[2]

وَقَدْ رَوَوْا مَقَالَةً عَنْ أَبِ ذَرّ — وَفِي البُخَارِيْ: قَامَ فِينَا عَنْ عُمَرْ

مَقَامَ حَقٍّ قَالَ: بَدْءَ الخَلْقِ — حَتَّى حِسَابِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحَقِّ

---

(١) وهؤلاء الخلف الذين عنوهم أكذبوا قولهم هذا وادعاءهم إكذابًا عُرف من اضطرابهم ونهاية أحوالهم وما انتهت إليه أقدامهم إذ يقول قائلهم عند احتضاره وهو أبو المعالي الجويني: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم... إلى أن يقول: وها أنا أموت على عقيدة أمي. وقال بعض رؤسائهم وهو الفخر الرازي:

نهاية إقدام العقول عِقَال — وأكثر سعي العالمين ضَلال

في أبيات له بهذا المعنى.

وقال ثالثهم؛ وهو الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها — وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلاً واضعًا كفَّ حائر — على ذَقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادم

ويقول رابعهم:

أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

و«الإمام» هو: الغزالي. و«مراض»: جمع مريض؛ ككريم وكرام.

(٢) من المحال أن يكون الهادي ﷺ لم يبين الدين كله وكتم هذا الباب الجليل المتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته؛ وهو قد بيَّن لأصحابه كل شيء حتى الخراءة، ومحال أن يكون ذلك أيضًا وهو القائل: **«تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاً هالك»**.

فَكَيْفَ يَجرُؤْ مُسْلِمٌ ذُوْ مُسكَةِ مِنْ نُهيَةٍ عَلَىٰ مَقَال الضِّلَّةِ
وَأَنْ يَكُونَ فَاضِلُوْا الأَسْلاَفِ قَدْ غَفَلُوا عَنْ لَقَمِ الأَخْلاَفِ
كَيْفَ يَكُونُ وَارِثُوا الْفَلاَسِفَهْ أَكْثَرَ مِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ مَعْرِفَهْ
بَيْنَ الضَّلاَل جَمعَوْا والْجَهْلِ كَحَشَفٍ صَاحَبَ سُوءَ كَيْلِ[1]
قَالُوْا: وَمَا لاَ يَرْتَضيْهِ الفِكْرُ أَو القِيَاسُ فَهْوَ رَدٌّ نُكْرُ
بَلْ بَعْضُ مَعْنَىٰ قِيْلِهِمْ: إِنَّ الكِتَابْ لاَ يُهْتَدَىٰ بِنَصِّهِ إِلَىٰ الصَّوَابْ
والْجَعْدُ أَصْلُ هذِهِ الْمَقَالَةِ نَقَلَهَا جَهْمٌ إِلَىٰ الجَهْمِيَّةِ
وَظَهَرَتْ فِي ثَالِثِ الْمِئِيْنِ فِي كِلْمِ بِشْرِ الدَّنِيْ الْمَفْتُونِ[2]

---

(١) رُوي عن أبي ذر أنه قال: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلاَّ ذكر لنا منه علماً». وفي البخاري عن عمر بن الخطاب: «قام فينا رسول الله مقامًا فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه».

فكيف يجرؤ بعد هذا من له مسكة من عقل على القول بمثل هذه المقالة الضالَّة؟

أم كيف يمكن أن يكون السلف الصالح قد غفلوا عن هذه الطريق التي يُزْعَم أنها حق.

أم كيف يكون أولئك الخلف الذين هم ورثة الفلاسفة أكثر معرفة من ورثة الأنبياء أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

وتالله لقد جمعوا بين الضلالة والجهل والحشف وسوء الكيل إذ جعلوا الخلف ومذهبهم خيرًا وأعلم وأحكم من السلف ومذهبهم.

و«يجرو» بالواو: يجترىء. و«مسكة» بضم الميم: العقل. و«الضِّلة» بكسر الضاد: الضلالة. و«اللَّقم»: الطريق معظمه أو وسطه.

(٢) ثم أتى أولئك النفاة ببائقة أخرى فقالوا: كل ما لا يرتضيه العقل=

فَلَيْسَ لِلأقْوامِ حَتْمًا قَاعِدَهْ ... ذَاتُ قَرَارٍ تَنْتَهِي بِفَائِدَهْ

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ عَقْلٍ يُوزَنُ ... بِهِ الكِتَابُ وَالْهُدَىٰ والسُّنَنُ

وَكُلُّ مُؤْثِرٍ عَلَى النَّقْلِ الْهَوَىٰ ... حَلَّ عَلَيْهِ غَضَبٌ فَقَدْ هَوى

والنَّقْلُ والْعَقْلُ ذَوَا وِفَاقِ ... إِنْ صَحَّ ذَا وَذَاكَ بِاتِّفَاقِ

فَإِنْ تَعَارَضَا فَإِمَّا الْعَقْلُ ... لَيْسَ صَرِيحًا أَوْ يَكُونُ النَّقْلُ

فِي ذَلِكُمْ قَدْ صَنَّفَ الحرَّانِي ... دَرْءَ التَّعَارُضِ الْعَظِيمَ الشَّانِ(١)



= والقياس فهو ردّ، وثلثوا بما هو أشنع من ذلك فقالوا ما مضمونه: إن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الحق، وإن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله.

وأصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل كتعطيل الاستواء ـ، «الجعد بن درهم» أخذها عن اليهود ونقلها عنه جهم بن صفوان، ولقَّنها أصحابه وانتشرت في حدود المائة الثالثة على لسان بشر بن غياث المرِّيسيّ.

(١) فليس لهؤلاء القوم قاعدة مستقرة تنتهي بما يفيد، فيا ليت شعري إذ قدّم هؤلاء عقولهم بين يدي الوحي أي عقل يوزن به الكتاب والسنة، وإن كل من آثر هواه وعقله على النقل حل عليه غضب من الله وقد هوى في مهامه الردى، فالعقل والنقل متفقان إن كانا صحيحين باتفاق العقلاء، فإن تعارضا فإما أن يكون العقل غير صريح أو النقل غير صحيح، والصريح في اللغة: الخالص من كل شيء، وفي هذا صنَّف الإمام العلامة أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني كتابه: «درء تعارض العقل والنقل»، والمسمى أيضًا: «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول».

ذكر المنحرفين عن طريق الحق وهم أهل التخييل والتأويل والتَّجهيل

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ تخيُّلٌ عَنْ رَبِّه
واخْتَلَفُوا هَلْ عَلِمَ الْحَقَائِقْ مِنْ لَفْظِهِ أَمْ كَانَ غَيرَ ذَائِقْ
وأهْلُ تَأْوِيلٍ يَقُولُوْنَ: قَصَدْ مَعْنًى بِها، وَلَمْ يُبَيِّنْ لِأَحَدْ
وَأَهْلُ تَجْهِيْلٍ يَقُولُونَ هُنَا: لَمْ يَعْرِفِ النَّبِيُّ مَعْنَىٰ وَحْيِنَا
فِي تِلْكُمُ الصِّفَاتِ والأَسْلاَفُ وَجَبْرَئِيلُ مَعْهُمُ يُضَافُ[1]

---

(١) المنحرفون عن طريق الحق والاستقامة ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.
فأهل التخييل: وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم يقولون: إن ما جاء به محمد ﷺ من أمر الإيمان... إلخ هو من نوع التخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، واختلفوا هل علم الحقائق أم لا؟ قولان لهم.
وأهل التأويل يقولون: النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل؛ ولكن قصد بها معاني، لكن لم يبين تلك المعاني لأحد ولا دل عليها. وأهل التجهيل ـ وهم كثير ـ ممن ينتسب إلى السنة والسلف يقولون: النبي لم يعرف معنى ما أنزل عليه=

....

= من آيات الصفات ولا الصحابة بل ولا أمين الوحي جبريل عليه السلام.
و«جبرئيل» في النظم بفتح الجيم والراء بعدها مكسورة لغة وقرىء بها في السبع.

القول في أسماء الله تعالى

أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَىٰ عَلْيَائِهِ ... فِي الفَوْقِ وَالشَّأْنِ وَكِبْرِيَائِهِ
وَكُلُّهَا تَدُلُّ إِمَّا: ضِمْنَا، ... أَو الْتِزَامًا، أَوْ طِبَاقَ الْمَعْنى
وَصَوِّبِ التَّوقِيْفَ فيْهَا وَاعْمَلِ ... بِمَا يَصِحُّ واتْبَعِ الْحَقَّ الْجَلِيْ
وَحِفْظُهَا الدُّعَا بِهَا الثَّنَاءُ ... عَلَيْهِ كُلُّهُ هُوَ الإِحْصَاءُ
وَعَمَلًا أَبُو الْوَفَا يَخْتَارُ ... وَقَالَ بالإِطَاقَةِ الأَخْيَارُ
وَالْحَكَمِيُّ قَالَ فِي الْمَعَارِجِ ... بِفَهْمِهَا وَعَمَلٍ فِي الْخَارِجِ
وَجَمْعُها مَبْنِيْ عَلَىٰ التَّوْقِيْفِ ... وَمَا أَتى بِعَدَدٍ مَعْرُوفِ
وَكُلُّ نَصٍّ عَدَّهَا فَلْيُنْبَذِ ... لِضَعْفِهِ مِثْلِ مَزِيْدِ التِّرمِذيْ[1]

---

(١) أسماء الله تدل على علوّه في الشأن والقهر والفوقية، وهي تدل على الذات مطابقة، وعلى الصفات التي اشتقت منها ضمنًا، وعلى الصفات الأخرى التي لم تشتق منها التزامًا، والصواب أنها توقيفية ولا يسمَّى الله إلاَّ بما سمَّى به نفسه وأطلقه عليه رسوله، وقد اختلف في معنى الإحصاء الوارد في قول النبي ﷺ: «**من أحصاها دخل الجنة**»، فقيل: المراد بذلك حفظها، وقيل: الدعاء بها والثناء، وقيل: أن يكون عاملاً بمقتضاها مقتديًا بما يسوغ الاقتداء به مقرًّا بما يختص معناه بالجبار -=

وَبَعْضُهَا يُذْكَرُ مِثْلُ الْمَانِعِ ... مَعَ الَّذِي قَابَلَهُ حَتْمًا فَعِ
وَمَا أَتَىٰ بِلَفْظَةِ الْقَدِيْمِ نَصّ ... وَاسْتَعْمِلِ «الأوَّل» إِذْ عَلَيْهِ نُصّ

= جل جلاله ـ، واختاره أبو الوفاء ابن عقيل، وقيل: المراد الإطاقة، أي: يطيق القيام بحقها والعمل بها. واستظهر العلامة حافظ الحكمي في «معارج القبول» أن معنى ذلك: معرفتها والقيام بعبوديتها. وهو قريب من الذي قبله، والأول ليس بشيء.

وجمع هذه الأسماء التسعة والتسعين مبنيّ على التوقيف، ولم يأت ذكرها مفصلة بعدد معين. والزيادة التي رواها الترمذي وفيها ذكر الأسماء مطّرحة ضعيفة .

مسألة

وَكُلُّ وَصْفٍ أَوْهَمَ النَّقْصَ امْنَعِ ... إِطْلاَقَهُ إِلاَّ لِمَا لَهُ دُعِي
كَالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ والاسْتِهْزَاءِ ... وَالنَّسْيِ وَالْخِدَاعِ فِي «النِّسَاءِ»
تَبَايَنَتْ أَسْمَاؤُهُ فِي الْوَصْفِ ... جَمِيْعُهَا وَذَاتِهِ بالخُلْفِ(١)

(١) من أسماء الله تعالى ما لا يطلق على الله إلاَّ مع مُقَابِلِهِ وهو ما إذا أُفرد أوهم النقص كالمعطي المانع، والضار النافع ولم تأت في الوحي مفردة.

وأما نحو: المنتقم فلم يأت إلاَّ مع متعلَّقه نحو: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]. وجاء بإضافة ذو إلى الصفة المشتق منها نحو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٧]. وأطلق المتكلمون وبعض العلماء لفظة «القديم» على الله، ولم يأت بها نصٌّ صحيح صريح من الوحي وورد «الأول» اسمًا لله تعالى، ونحن بما ورد في غنية عمَّا لم يرد.

وهناك أوصاف أطلقها الله تعالى على نفسه من باب الجزاء والمقابلة والمشاكلة، كالمكر والكيد والاستهزاء والنسي والخداع والملل فلا يقال عن الله ـ على سبيل الإطلاق ـ: ماكر ولا كائد أو يمكر أو يكيد.

وأسماؤه تعالى متباينة كلها من حيث الصفة فالكريم فيه معنى غير ما في الرحيم والجبار، وهي في ذاته بخلاف ذلك، إذ المسمّى واحد جلّ جلاله. =

. . . .

= و«حتمًا» مصدر. و«فع» كلمتان. و«نصّ» الأولى: بفتح النون، والثانية: بالضم، الأولى: اسم، والثانية: فعل ماض مبني للمفعول، ومعنى: «في النساء»، أي: الوارد في سورة النساء ذِكْره، والخلف بالضم: الاختلاف، والمقصود: اختلاف الذات عن الصفة في ذلك.

فصلٌ في المعيّة

قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: مَنْ أَنْكَرَا أَنَّ الإِلَهَ فِي السَّمَاءِ كَفَرَا
وَابْنُ الْمَدِيْنِي سَأَلُوهُ عَن ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾ فَسَمَّى العِلْما
وعن أَبِي زُرْعَةَ حِيْنَ سُئِلاَ أَجَابَ: رَبُّنَا عَلَىٰ العَرْشِ عَلاَ
وَعِلْمُهُ كُلَّ مَكَانٍ ثَابِتُ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَا عَلَيْهِ لَعْنَةُ[1]
وَلَفْظُ مَعْ إِذْ أُطْلِقَتْ فَقَارِنْ مِنْ غَيْرِ مَسٍّ واجِبٍ مُقَارِنْ
فَإِنْ بِمَعْنًى قُيِّدَتْ فَهْيَ لَهُ كَنَحْوِ سَارَ وَالنُّجُومُ مَعَهُ
وَقَدْ أَتَتْ: لِلنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ فِيْ ﴿مَعَكُمَآ﴾ ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾ فَاعْرِف[2]

---

(١) قال أبو حنيفة ـ وقد سئل عمن قال: لا أعرف ربّي في السماء أم في الأرض ـ فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].
وسألوا علي بن المديني عن آية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فأجاب بما حاصله: العلم: أي: معهم بعلمه.
وروي عن أبي زرعة الرازي: أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فقال: تفسيره كما نقرأ: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا عليه لعنة الله.
(٢) كلمة «مع» إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلاَّ المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة، فإذا قيّدت بمعنى من المعاني نحو: سار=

. . . .

= والنجوم معه؛ دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

وقد أتت في الذكر مرادًا بها النصر والتأييد نحو: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨] و﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦]. والواو في «والنجوم» للاستئناف ومنع أن تكون للمعية لفظُ «معه» بعده.

فصلٌ
في الاستواء

مَعْنَى اسْتَوَىٰ عَلاَ. اسْتَقَرّ، ارْتَفَعَا
وَصَعِدَ، والجَرُّ بَعْدُ وَقَعَا

وَلاَمَ أَهْلُ السنَّةِ اللَّامَ الَّتي
زِيْدَتْ كَنُوْنِ حِنْطَةٍ فِي حِطَّةِ

عِشْرُوْنَ وَجْهًا تُبْطِلُ اسْتَوْلَى، وفي
نُوْنِيَّةِ «الزَّرْعِيِّ» ذِكْرُهَا يَفِي

هذَا، وإنَّ الأَثَرَ الَّذِي رَوَوْا
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَفِيهِ قَدْ حَكَوْا

تَفْسِيرَهُ اسْتَوَىٰ بِالاِسْتِيْلاَءِ
ذُوْ ظُلْمَةٍ، ظُلُمَةٍ، ظَلْمَاءِ(1)

---

(1) لفظ استوى في القرآن وفي لغة العرب يأتي بمعنى علا وارتفع، واستقر، وصعد، وكلها تتعدى بعلى أو إلى، وتأتي «استوى» بمعنى تمَّ غير مقرونة بجر.

وردَّ أهل السنة رضي الله عنهم تفسيرها باستولى من عشرين وجهًا ذكرها الزرعي «ابن القيم» في «النونية»، وهو نوعٌ من التحريف المشتمل على زيادة كزيادة اليهود النون في «حطة» إذ أمروا بأن يقولوها فقالوا: حنطة؛ فكان الشبه من هذا الوجه، والأثر المروي عن ابن عباس، وفيه: «أنه سئل عن معنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فقال: استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان»؛ حديث منكر فيه عبدالله بن داود الواسطي=

....

= وعبدالوهاب بن مجاهد، وإبرهيم بن عبدالصمد، وهو مجهول، والأولان ضعيفان.

وظلمة الأولى بسكون اللام والثانية بالضم لغة. والظلمات الثلاث إشارة إلى أن الإِسناد اشتمل على ثلاث ظُلَم.

فصلٌ

وَالـوَجْـهُ والـعَـيْـنَـانِ والْـيَـدَانِ والسَّاقُ قَدْ جَاء بِهَا الْوَحْيَانِ
مُـضَـعَّـفٌ لـفـظُ الـشِّـمـالِ الـوَارِدُ فـي مـسْـلِـمٍ وَصَـحَّـحَ الأمـاجـدُ
وَلَـفْـظُ شَــيْءٍ مَـعَ شَـخْـصٍ وَرَدَا فِـي وَحْـيِـنَـا وَزِدْ عَـلَـيْـهَـا أَحَـدَا[1]

(١) «الوجه» و«العينان» و«اليدان» و«الساق» من صفات الله تعالى ورد بها الكتاب والسنة.

واللفظ الذي رواه مسلم وفيه: «**ثم يطوي الأرض بشماله**» تفرّد به عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف، وأشار إلى تفرده به البيهقي وابن حجر وغيرهما.

وقد ثبت في مسلم وغيره أن «**كلتا يديه يمين**» وكل من المصحح والمضعف يقول بمعناه، ولفظ: «شيء» و«شخص» و«أحد» كلها وردت صفات لله تعالى. قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام: ١٩] وفي البخاري عن النبي ﷺ: «**لا شَخْصَ أغير من الله**»، والشخص في اللغة: ما علا وارتفع وظهر، وفي الحديث إثبات الغيرة (بفتح الغين) صفة للباري جل جلاله، وفي «الفتح» عند هذا الحديث نقل ابن حجر قول ابن بطال: «أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص لأن التوقيف لم يرد به». وهذا الحديث يبطل دعوى الإجماع المتوهم وعلّته.

وَقَــــولُــــــهُ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ أي: قِبْلَةُ اللّهِ بِلاَ اشْتِبَاهِ

(فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ) عَنَىٰ فِي الطَّاعَةِ أَوْ أَمْرِهِ أَوْ قُرْبٍ أَيْ فِي الجَنَّةِ

أَوْ حَقِّهِ أَوْ ذِكْرِهِ، وَهذِهِ لَيْسَتْ مِنَ الصِّفَاتِ عِنْدَ الْفِقهِ[1]

وَقُرْبُ رَبِّنَا مَعَ اسْتِعْلاَءِ وَالْعَرْشُ لاَ يَخْلُوْ مِن اسْتَواءِ

وَبَعْضُهُمْ بِذَاتِهِ يُقَيِّدُهْ وَبَعْضُهُمْ بِعِلْمِهِ قَدْ يَعْضُدُهْ

وَالْقَيْدُ إنْ لَمْ يَكُ فِي الْكِتَابِ وَالْهَدْيِ فَهْوَ مَثَلُ السَّرَابِ

وَلَسْتُ أُحْصِي كَم دَلِيْلًا قَدْ سَمَا فِي أنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَا

مِنْهَا الْعُلُوُّ وَصَرِيْحُ الفَوْقِ والأسْتِوَاءُ وَعُرُوْجُ الْخَلْقِ

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ مَعَ النُّزُولِ وَالْفِعْلُ فِيْ إشَارَةِ الرَّسُولِ

كَذَاكَ مَنْ خُصَّ مِنَ الملاَئِكْ بِعَنْدَ وَالْفَوْقِ، وَغَيْرُ ذَلِكْ[2]

---

(١) قول الله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥]، معناه: قبلة الله، وليست من آيات الصفات. والوجه هنا بمعنى الجهة.

وقول الله تعالى: ﴿فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] كذلك ليست من آيات الصفات لأن الآية سيقت لبيان تحسر الكافرين على ما فرطوا في طاعة الله والمفسرون في تفسيره على أقوال: قيل: في طاعة الله. وقيل: أمر الله. وقيل: في طلب قرب الله وجواره؛ أي الجنة. وقيل: في حق الله. وقيل: في ذكره. هذه خمسة أقوال وبينها تقارب، والله أعلم.

(٢) والله تعالى قريب من عباده مع علوّه على عرشه. وقربه أو نزوله إلى السماء الدنيا لا يعني خلوّ العرش من استواء الله عليه، ومن أهل العلم من يقيد قربه بذاته، ومنهم من يقيده بالعلم، والقيد ما لم يكن عن توقيف ليس بشيء، والنصوص الدالة على علو الله تعالى وفوقيته لا تحصى كثرةً، من ذلك العلوّ نحو: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ=

. . . .

= ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، وصريح الفوق نحو: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٨]، والاستواء نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ [البقرة: ٢٩] وعروج الملائكة نحو: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [المعارج: ٤]، والصعود نحو: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠]. والنزول كحديث النزول وآيات الإنزال، وما فعله الرسول ﷺ من رفع إصبعه مشيرًا إلى السماء قائلاً: «**اللهم فاشهد**»، ومثل ذلك التصريح بـ«عند» نحو: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء: ١٩]، ونحو: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: ١١]، وبالفوق مثل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]. ولفظ «يعضده» كينصره وزنًا ومعنًى.

فصلٌ في كلامِ الله

كَلاَمُ رَبِّنَا بِصَوْتٍ يُسْمَعُ ... هذَا هُوَ الْمَأْثُورُ والمُتَّبَعُ

وَلَمْ يَزَلْ مُكَلِّمًا إذا يَشَا ... مَتَىٰ يَشَاءُ مَنْ يَشَاءُ كَيْفَ شَا

وَإِنَّ مَعْنَىٰ «مُحْدَثٍ» في اقْتَرَبَا ... و«الشُّعَراءِ» ذُوْ نُزُوْلٍ قَرُبَا

وَقَائِلٌ بِخَلْقِهِ قَدْ كَفَّرَا ... خَمْسُ مِئِيْنٍ مِنْ سَرَاسِيْرِ الْوَرَىٰ

والطَّبَرَانِيُّ الرِّضَا واللَّالَكَا ... ئِيُّ وَذُو الصَّواعِقِ الْكُفرَ حَكى

ألاَ لَهُ الْخَلْقُ كَذَاكَ الأَمْرُ ... والأَمْرُ غَيْرُ الْخَلْقِ ذَاكَ أَمْرُ[1]

---

(١) وكلام ربنا بحرف وصوت هذا هو المأثور والمتبع للأدلة الصريحة في ذلك، ولم يزل تعالى مكلمًا من شاء متى شاء إذا شاء وكيف شاء.

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] في ﴿اقْتَرَبَ﴾ والألف للإطلاق، وفي «الشعراء» معناه النازل قريبًا، وجعله القائلون بخلق القرآن دليلًا على ذلك.

ومن قال بخلق القرآن من أتباع جهم وغيره فقد كفره نحو خمس مئين من العلماء، حكى ذلك الطبراني واللالكائي وابن القيم في الصواعق وحكاه عنهما في «النونية». والسراسير جمع سُرسُور بضم السينين: العالم الفطن الدخال في الأمور والخاص من الأصحاب والحبيب، والمراد الأول هنا. =

. . . .

= وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال السيوطي في «الإكليل»: استدل به ابن عيينة على أن القرآن غير مخلوق لأن «الأمر» الكلام وقد عطفه على «الخلق» والعطف يقتضي المغايرة.

كتاب الإيمان

إقرارٌ الْإِيمَانُ والتَّصْدِيْقُ ... وعَمَلٌ هذَا هُوَ التَّحْقِيْقُ

يَزِيْدُ بالطَّاعاتِ كالصِّيَامِ ... وَنَقْصُهُ بِعَمَلِ الآثَامِ

وَهْوَ مَعَ الإِسْلَامِ ذُوْ زِيَادَهْ ... فَإِنْ تَفَرَّقَا فَلاَ زِيَادَهْ

وَالمُرْتَضَىٰ جَوازُ إِنِّي مُؤْمِنُ ... إِنْ شَاءَ رَبِّي، وهْوَ قَوْلٌ حَسَنُ

وَشُعَبُ الإِيْمَانِ جَاءَ فِي الخَبَرْ ... بضعٌ وَسَبْعُوْنَ، وَستُّونَ أَبَرْ

وَلابْنِ حِبَّانَ كَلاَمٌ حَسَنٌ ... فِي الْفَتْحِ عَنْهَا، عُدْ إِلَيْهِ أَحْسَنُ(١)

---

(١) الإيمان: قول وتصديق وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والإيمان إذا اجتمع مع الإسلام في نصّ فهو الإسلام وزيادة، وهذا معنى قولهم: إذا اجتمعا افترقا، وإذا ذكر كل منهما وحده فلا زيادة وهو المراد بقولهم: إذا افترقا اجتمعا، وبسط الكلام في ذلك محرّرًا لا يحتمله مثل هذا التعليق ومثله الخلاف في قول القائل: أنا مؤمن إن شاء الله.

والمرتضى جواز ذلك يقوله المؤمن لا على سبيل الشك في حاله وقتها بل على سبيل التحقق حالاً والرجاء مآلاً، وهو قول حسن لما فيه من حسن الأدب. وشعب الإيمان نحو سبعين شعبة لم يأت ذكرها مفصلاً في شيء من النصوص. ولابن حبان كلام حسن في تفصيل ذلك نقله ابن حجر في الفتح فليرجع إليه.

فصلٌ في الإيمان بالملائكة

ثُمَّ الْمَلاَئِكُ: عِبَادٌ مُكْرَمُونْ ... لِلّهِ لاَ يَعْصُونَهُ مَا يُؤْمَرُونْ

جِبْرِيلُ ذُو الْوَحْيِ، وإِسْرَافِيلُ ... ذُو النَّفْخِ، والأَمْطَارِ مِيكَائِيلُ

وَمِنْهُمُ ذُوْ الحَتْفِ، جَاءَ فِي الأَثَرْ ... عِزْرِيلُ لَكِنْ رَفْعُهُ لَمْ يُعْتَبَرْ

وَهَلْ هُمُ أَفْضَلُ مُطْلَقًا أَمِ ... مِنْ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ أَمْ عَكْسٌ نُمِيْ

خُلْفٌ لَهُمْ، والتَّركُ أَوْلَىٰ إِذْ لاَ ... فَرْعٌ هُنَا، والشَّيْخُ قَالَ قَوْلاَ:

هُمْ بِاعْتِبَارِ الابْتِدَا أَفْضَلُ مِنْ ... مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَفِي الأُخْرَىٰ اعْكِسَنْ[1]

---

(١) والملائكة عبادٌ مكرمون خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم بحسب ما كلفوا به أقسام: فمنهم: الموكل بالوحي وهو جبريل، وإسرافيل بالصور نقل فيه الحليمي الإجماع، ووردت فيه أحاديث لا تخلو من مقال، وروي ما يفيد أن معه ملكًا آخر ينفخ، وفي «الفتح» حول هذا بحث مفيد في شرح الحديث رقم (٦٥١٨)، وميكائيل بالمطر، رُوي ذلك مرفوعًا في الطبراني وغيره. ومنهم: ملك الموت الموكل إليه قبض الأرواح، وجاء في الأخبار أن اسمه «عزرائيل». وعزريل: كجبريل لغة فيه.

واختلف هل الملائكة أفضل من كل البشر حتى الأنبياء أم من صالحي المؤمنين دون الأنبياء، أم صالحو المؤمنين أفضل منهم؟ وترك البحث=

. . . .

= في هذا أولى لأنه لا يُبنىٰ عليه فرع. وقال شيخ الإِسلام قولاً وسطًا حاصله: أنهم أفضل باعتبار البداية وصالحو البشر باعتبار النهاية. والله أعلم.

والملائك والملائكة سواء، ومنه قوله: وسخَّر من جنِّ الملائك تسعةً . . .

والحتف: الموت.

فصلٌ في الإِيمان بكتب الله

بِـكُـلِّ مـا أُنْـزِلَ مـن كِـتَـابِ نُـؤْمِـنُ حَـقًّـا دُوْنَـمَـا ارْتِـيَـاب
وَالـذِّكْـرُ والـتَّـوْرَاةُ مَـعْ إِنْـجِـيْـلِ مَـعَ الـزَّبُـورِ صُـحُـفِ الـخَـلِـيْـلِ
مُـنَـزَلَـةٌ وهْـيَ كَـلاَمُ الـرَّبِّ حَـقِـيْـقَـةٌ دُوْنَ مَـجَـازٍ يُـنْـبِـيْ[1]



(١) ونؤمن بكتب الله تعالى كلها وبما جاء فيها: ومما ذكر في القرآن منها التوراة والإِنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وهي منزلة من الله تعالى عليهم وكلها كلام الله تكلم بها حقيقة لا مجازاً.

فصلٌ في الإيمانِ بالرسلِ

ثُـمَّ الـرَّسُـولُ: رَجُـلٌ قَـدْ أُمِـرَا وَحْيًا بِأَنْ يُبَلِّغَ الشَّرْعَ الْوَرى
وَهْـوَ بِـلاَ أَمْـرٍ نَـبِـيٌّ، والْـخِـلاَفْ فِيْ حَدِّهِ عَلَىٰ الذَّكِيِّ غَيرُ خَافْ
وَاخْـتَـلَـفُـوا فِـي خَـضِـرٍ وَمَـرْيَـم لُقْمَانَ، ذِي القَرْنَيْنِ، زَوجِ آدَمِ
قِـيْـلَ: نَـبِـيُّـوْنَ، وقِـيْـلَ: أَوْلِـيَـا والأَكْـثَـرُونَ صَـوَّبُـوا مَـا وَلِـيَـا
هَـلْ فِـي الـنِّـسَـا نُبُوَّةٌ خُلْفٌ دُرِيْ وَمُـثْـبِـتٌ وُجُـودَهَـا لَـمْ يَـفْـتَـرِ
وَقَـوْلُـهُ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ غَـيْـرُ مَـا نـحـن بِـهِ إِذْ لِـلـرِّسَـالَـةِ انْـتَـمـى
وَمُـعْـجِـزَاتُ الأَنْـبِـيَـاءِ خَـارِقَـهْ لِـعَـادَةٍ لاَ تَـقْـبَـلُ الْـمُـشَـاقَـقَـهْ
نُوحٌ، وإِبْرَاهِيْمُ، مُوْسَىٰ، أَحْمَدُ عِيْسَىٰ، أُولُوا الْعَزْمِ الَّذِيْنَ وَرَدُوْا
فِي الذِّكْرِ والأَحْزَابِ ثُمَّ الشُّورى وَكَـانَ ذَاكَ فِـيـهـمـا مَـسْـطُـورًا[1]

(١) الرسول: رجل أوحي إليه وأُمر بالتبليغ، والجمهور على أن النبي هو كذلك دون أمر بالتبليغ. وعليه: كل رسول نبي ولا عكس، فالنبي أعم، والخلاف في تعريفه لا يخفى على الفطن المطلع، واختلف في الخضر، ومريم، ولقمان، وذي القرنين، وزوج آدم، قيل: أنبياء، وقيل: أولياء، وصوبه الأكثرون، واختلافهم هنا مرده إلى الاختلاف في حد النبي أَهُوَ: من أوحي إليه بشيء، أم بشرع؟ وهل يمكن ألاَّ يكون=

. . . .

= رجلاً؟ لأنهم تنازعوا في النبوة هل تكون في النساء أم لا؟ والجمهور على المنع، ولم أحصل على دليل صريح يمنع من ذلك لا من العقل ولا من النقل، وقد أوحي إلى مريم كما أوحي إلى غيرها من الأنبياء وقال في سورة مريم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨]، وحاكي الإجماع في عدم الوقوع غالط، وبحثها أبو محمد ابن حزم في «الفصل»، والقرطبي في التفسير وصوّبا وقوعها فيهن، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ [يوسف: ١٠٩]، فليس من الباب لأن الجميع يمنع أن تكون الرسالة في غير الرجل والبحث هنا في النبوة لا في الرسالة وهو طويل غير مفيد، والله أعلم.

ومعجزات الأنبياء خارقة للعادة لا يقدر البشر على تحدّيها.

ورسل الله نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم كثيرًا هم أولو العزم ذكروا مجموعين في آيتين في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ [الأحزاب: ٧]. وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ [الشورى: ١٣].

تفريع

وَحَقٌّ الإِسْرَاءُ لاَ فِي النَّوْمِ وَفِي مَنَامٍ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ
﴿سُبْحَانَ﴾، والرُّكُوبُ، وَالذُّهْلُ، و﴿مَا زَاغَ﴾ ﴿بِعَبْدِهِ﴾ دَلِيلُ مَنْ سَمَا
وَلَمْ يَرَ النَّبِيُّ رَبَّهُ هُنَا مِن مِثْلِ هذَا قَفَّ شَعْرُ أُمِّنَا[1]

(١) والإسراء بالنبي ﷺ حق والأكثر على أنه ببدنه وروحه يقظة لا منامًا دون إنكار أنه كان قبل ذلك منامًا، وقال آخرون: بل كان ذلك بروحه وتعقبه ابن جرير بما يبطله.

والبيت الذي بعده تضمن مجموع أدلة الجمهور، وهي خمسة، وبيان ذلك:

أن التسبيح تعجب من أمر عظيم وهو كذلك إذا كان يقظة. ثانيًا: جاء في الحديث ركوبه على البراق وهو إنما يكون للبدن. ثالثاً: تعجب الكفار والمبادرة إلى تكذيبه ولو كان منامًا ما كان ذلك. رابعًا: قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] البصر من آلات الجسد لا الروح. خامسًا: قوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] عبارة عن الجسد والروح، ولو كان منامًا لقال: بروحه. وجميع الوجوه الخمسة منتظمة في البيت، وفي آخره بيان أن هذا دليل من رجح قولهم في هذا.

ولم ير النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج لما ثبت في صحيح مسلم=

....

= إذ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: «**نورٌ أنّىٰ أراه**»، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: «لقد قف شعري من ذلك»، وأكذبت من زعم أنه رآه.

فصلٌ في الإيمان باليوم الآخر

وَلَيْسَ يَدْرِيْ أَحَدٌ مَتَىٰ يَحِيْـ ـنُ بَعْثُنَا وَأَرْبَعَ الْمَفَاتِحِ
وَمَنْ نَفَىٰ حَيَاةَ الأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَا فِي بَرْزَخٍ فَنَائِي
وَحَقٌّ السُّؤَالُ فِي الْقَبْرِ، وَكَمْ مُبْتَدِعٍ أَنْكَرَ ذَاكَ واجْتَرَمْ
أَتَىٰ بِهِ الذِّكْرُ إِشَارَةً وَجَا فِي الْهَدْيِ سَبْعُونَ حديثًا، فَالنَّجَا
وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ: نَعِيْمٌ أَوْ عَذَابْ نُثْبِتُهُ، وَنَسْأَلُ اللّهَ الْمَتَابْ
والْمُرْتَضَىٰ أَنَّ ذَوِي الأَجْدافِ لاَ يَسْمَعُونَ فَانْأَ عَنْ خِلاَفِ
واتَّفَقَ الأَصْحَابُ أَنَّهُ يَصِلْ مَا كَانَ ذَا تَسَبُّبٍ فِيْهِ الرَّجُلْ
إِنْ مَاتَ، وَاسْتِغْفَارُنا، والصَّدقَهْ تَرَدُّدٌ في الحَجِّ أَوْ فِي النَّفَقَهْ[1]

(١) ولا يعلم أحد سوى الله تعالى متى تقوم الساعة، ولا يعلم أحد سواه نزول الغيث، ولا ما في الأرحام، ولا ما يكون غدًا، ولا يعلم أحد من خلق الله أين يموت .

ومن نفى حياة الأنبياء والشهداء في القبر فهو ناءٍ معرض عن الحق والأدلة على ذلك واضحة. والسؤال من الملكين حق واقع في القبر تواترت بذلك الأحاديث أبلغها السيوطي إلى سبعين، والصحيح منها دون ذلك بكثير، وجاء في القرآن الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ=

آيَـاتُـهَـا الـدَّجَّـالُ والـدُّخَـانُ وَدَابَـةٌ، يَـأَجُـوْجُ، والـنِّـيـرَانُ
ثَـلاَثَـةٌ خَـسْـفٌ بِـأَرْضِ الْـغُـرْبِ عِيْسَىٰ وَتَبدُوْ الشَّمسُ صَوبَ الغَرْبِ
والـنَّـفَـخَـاتُ: فَـزَعٌ. صَـعْـقٌ قِـيَـامْ وَقِيلَ: ثِنْتَانِ، وَفِي الْقَولِ كَلاَمْ(١)

= ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧] وما ورد من الأحاديث التي فيها ذكر السؤال، كثير منها فيه ذكر فتنة القبر وعذابه ونعيمه، جاء في الذكر ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وقد أنكر عذاب القبر والسؤال فيه من ضل من المبتدعة كالخوارج والجهمية والمعتزلة والرافضة والمرتضى أنه لا يَسْمَع من في القبور، وهو قول عائشة رضي الله عنها مستدلة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]. وأما ما ورد من نصوص تفيد سماعهم كقصة «القليب» والخبر الذي فيه: أن الميت يسمع قرع النعال ونحو ذلك، هو من باب الخاص بأعيان أو أزمان، ولا تعارض بين مثل هذا وذاك. والله أعلم. وقد اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء فيما تسببوا فيه قبل موتهم كالصدقة الجارية وينتفعون أيضًا بدعاء المسلمين واستغفارهم لهم والصدقة والحج إلاَّ أنهم اختلفوا فيما يصل من ثواب الحج؛ فقيل: يصل إلى الميت ثواب الحج وهو الصواب، وقيل: ثواب النفقة، والله أعلم.

و«الأجداف»: جمع جدف؛ كالجَدَث وزنًا ومعنًى وجمعًا.

(١) جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: **ما تذاكرون؟** قالوا: نذكر الساعة، قال: **إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**، فذكر: **الدخان**، =

....

= **والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».**

وفي كثير منها أحاديث متواترة، وجاء التصريح ببعضها في الذكر، وبعضها مومًى إليه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٦١] على أحد التفسيرين. والآية والشرط العلامة. والنفخات؛ قيل: ثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وهو خطأ، والثالث بعيد، والأول فيه نظر. والله أعلم.

فصل

وَحَقٌّ الْجَزَاءُ، وَالْحِسَابُ   والْعَرْضُ، والصِّرَاطُ، والْكِتَابُ[1]
كَذَلِكَ الْمِيْزَانُ، والْجَمُّ الغَفِيْرْ   يَقُوْلُ: واحدٌ: حَكَاهُ ابْنُ كَثِيْرْ
وَوَلَدُ الكُفَّارِ هَلْ في الْخُلْدِ، أَوْ   بِبَرْزَخٍ، أَوْ نَارٍ، الْخُلْفَ حَكَوْا
وَقِيْلَ: بالوَقْفِ، والامْتِحانِ،   وَوَلَدُ الْمُسْلِمِ فِيْ الجِنَانِ[2]

---

(١) هذه الأمور ثابتة بالسمع والفطرة ولم ينكرها إلاَّ القرامطة وأشباههم، و«الكتاب» هو الذي يأخذه المؤمن بيمينه والكافر بشماله، والأكثرون على أن الميزان واحد، وجمع في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] باعتبار تعدد الموزون حكى ذلك ابن كثير عند هذه الآية في تفسيره.

(٢) لم يختلف العلماء في أن أولاد المؤمنين في الجنة واختلفوا في أولاد الكفار إلى عشرة أقوال، ذكرها ابن حجر في الفتح. والتحقيق أنهم في الجنة للأدلة الصحيحة الصريحة، منها: ما رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «**وأما الولدان الذين حوله فكلُّ مولود على الفطرة** قال: فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: **وأولاد المشركين**». والكلام في الجمع=

وَاخْتَلَفَ الأَسْلاَفُ في الشَّهَادَةِ بِجَنَّةٍ فَقِيلَ: لاَ إِلاَّ الَّتِي
لِلأَنْبِيَا، وَقِيلَ: بَلْ لِكُلِّ مَنْ نُصَّ فِيْهِ، وَهْوَ قَوْلُ الْجُلِّ
وَدَاخِلُ النَّارِ مِنَ الْعُصَاةِ يَخْرُجُ دَاخِلًا إِلَى الْجَنَّاتِ
بَعْدَ امْتِحَاشٍ وَأَبَى الْمُعْتَزِلَهْ خُرُوجَهُمْ مَعْ قَولِهِمْ بِالْمَنْزِلَهْ(١)



= بين الأدلة في هذا المقام ليس مكانه هنا، وإنما أردنا بكتابنا هذا إرشاد المبتدىء وتذكير العالِم.

(١) للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

الأول: أن لا يشهد لأحد إلاً للأنبياء، وهو محكي عن محمد ابن الحنفية، والأوزاعي.

الثاني: يُشْهد بالجنة لكل من جاء فيه النصّ وهو قول كثير من أهل الحديث.

الثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون والظاهر صوابُ الثاني لأن الشاهد مخبر بوعد الله ورسوله، ووعد الله ورسوله نافذ ولا يخلف الله وعده.

ومن دخل النار من العصاة فإنه يمكث فيها ما شاء الله ثم يخرج منها حين يشاء الله تعالى كما دلت على ذلك الأدلة المتضافرة، وفي ذلك ردٌ على المعتزلة والخوارج الذين يرون أنهم يخلدون كالكافرين والمنافقين، هذا مع أن المعتزلة لا يسمون مرتكبها كافرًا. وأهل الحق فارقوا أولئك من جهات ثلاث:

الأولى: أنه يسمَّى مسلمًا لا كافرًا كما يقول الخوارج ولا في منزلة بين المنزلتين، كما يقول المعتزلة.

الثانية: أنه قد يدخل الجنة بفضله وبرحمته ابتداء دون أن يُدْخَل النار.

الثالثة: أنه لا يخلَّد في النار إذا دخلها.

تفريع فيه الكلام عن الروح

وَمُسْتَقَرُّ الرُّوْحِ فِيْهِ خُلْفُ وَقَوْلُهُمْ: تَفَاوَتَتْ قَدْ يَصْفُو
والرُّوْحُ والنَّفْسُ هُمَا: لَفظَانِ تَرَادَفَا، وَقِيْلَ بَلْ: شَيْئَانِ
والأَوَّلُ: اخْتِيَارُ ذِي الْمُحَلَّىٰ، وَصَاحِبُ الرُّوْحِ بِرُوْحٍ أَجْلَىٰ
وَخَلْقُهَا أَسْبَقُ مِنْ أَبْدَانِ وَقِيْلَ: لا، والْقَوْلُ للحَرَّاني[1]

(١) وتعدّد أقوال الناس في مستقر الروح إلى أكثر من عشرة أقوال. ذكرها ابن أبي العز في شرح الطحاوية، والقول الذي يصفو من الشوائب والاعتراض عليه قول من قال بأنها متفاوتة، كل حسب فضله ومنزلته في الجنة.

واختلف في الرُوح والنَّفس هل هما شيئان؟ أم شيء واحد؟ والصحيح أنهما مترادفان وجاء في الحديث ذكر كل منهما مكان الآخر وبه استدل ابن حزم واختاره ابن القيّم، وأعني بالترادف ما يتعلق بمعناهما إذا أطلق، وإلاّ فلكل منهما معان أخرى تعرف من التقييد والسياق فإن الروح استعملت في القرآن، له، وللوحي، وعيسى، وجبريل، والرحمة، والنفس استعملت في اللغة العربية للدم، والجسد، والعين، والغيب، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦] ويشهد له آخر الآية، ذكر ذلك الزبيدي في شرح القاموس. والظاهر أن هذا المعنى معنى مرادي لا المعنى المباشر وهو مفهوم من «ما» لا من=

والنَّاسُ فِي الرُّوْحِ عَلَى خِلاَفِ فَقِيْلَ: لاَ فِيْ بَدَنٍ وَلاَ فِيْ
خَارِجِهِ وَلاَ تُبَايِنُ الْجَسَدْ وَبَلَغَتْ أَقْوالُهُمْ إِلَى عَدَدْ
ثَمَانِ عشرٍ ومئهْ[1] ولْتَنظرِ «فَتْحَ الْقَدِيْر» لاِبْنِ شَوكَانَ السَّرِيّ
فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ آيِ خَمْسِ بَعْدَ ثَمَانِيْنَ بِغَيْرِ لَبْسِ
وَقَدْ أَحالَ الله عِلْمَهَا إِلَيْهْ فَاقْنَعْ بِمَا قَالَ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهْ[2]



= «نفسي». واختلف أيضًا هل هي مخلوقة قبل الأجساد أم لا؟ الأدلة في ذلك متكافئة، واختار شيخ الإسلام أنها بعد خلق الجسد. والله أعلم.
و«أجلى»: فعل ماض بمعنى أوضَحَ وكشف وجه الصواب.

(١) في بعض طبعات «فتح القدير» ثمانية عشر مائة قول، ولكنني بعد التأمل وجدت في هذا العدد مبالغة بالغة وإحصاء ذلك وبلوغه كالمتعذر، وثبت لي غلط النساخ بعد ذلك، فغيرت في النظم بمقتضى ما ثبت.

(٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٥٤): «وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أممهم المقتدين بهم، فيالله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه».
و«السّريّ» بتشديد الياء: السيد.

القول في الجنة والنار

مَـوجُـوْدٌ الـنَّـارُ كَـذَا الـجِـنَـانُ	وَأَنْـكَـرَ الْـوُجُـودَ قَـوْمٌ بَـانُـوا
وزَعَـمَ الْـجَـهْـمُ الْـفَـنَـاءَ فِـيـهِـمَـا	وخَـالَـفَ النُّصُوصَ مَنْ تَجَـهَّـمَـا
وَفـي فَـنَـا الـنَّـارِ: خِـلافٌ عُـرِفَـا	عَنْ بِضْعَةٍ مِنْ سَلَفٍ، وَضُعِّفَا
وَشُـهِـرَتْ عَـنْ أَحْـمَـدَ الـحـرَّانـي	وَقِـرْنِـهِ، وَلَـيْـسَ فِـي الإِمْـكَـانِ
إِثْـبَـاتُـهَـا عَـنْ شَـيْـخِـهِ، وَأَمَّـا	هَـذا فَـهَـمَّ أَوْ فَـقَـدْ أَلَـمَّـا[1]

(١) الجنة والنار موجودتان، قال الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ورآهما النبي ﷺ في المعراج، وذهب طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم يخلقا بعد، ولا يُعلم لهم حجة، ولفظ «النار» مؤنث، وقد يذكَّر.

وزعم الجهم بن صفوان أن الجنة تفنى مخالفًا النصوص الصريحة في دوامها. وأما فناء النار فقد عرف نقلاً عن بضعة من الصحابة. ولا يصح من ذلك شيء، وشهرت مقالة فناء النار عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وليس في الإمكان إثبات ذلك عن ابن تيمية لبرهانين جليّين:

الأول: أنه لا يوجد حرف واحد في كتبه فيه الإفصاح بفنائها عنده.

الثاني: أنه صرَّح في غير موضع من كتبه أنها لا تفنى، من ذلك ما في الفتاوى (١٨/٣٠٧). =

....

= وإنما طرأ نسبة هذه المسألة إليه لثلاثة أمور:

الأول: تبنّي تلميذه ابن القيم لهذه المسألة وتحرر الكلام فيها ثم إيراد الأدلة على فنائها مع افتراض أنه يبعد مخالفته لشيخه في مثل هذه المسألة التي قال عنها: إنها أكبر من الدنيا وما فيها.

الثاني: قول ابن القيم في شفاء العليل في آخر الباب الثالث والعشرين: «وكنت سألت شيخ الإسلام قدَّس الله روحه فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، قال: ولم يجب فيها بشيء فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار التي ذكرت، فأرسلت إليه الكتاب، وهو في مجلسه الأخير وعلمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له: هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو، فكتب فيها مصنفه المشهور، رحمة الله عليه، فمن كان عنده فضل علم فليجُدْ به»؛ ثم ذكر كلامًا مقتضاه التوقّف. ففهم بعضهم أنه لو كان يقول بأنها لا تفنى لقال ذلك فكان العدول إلى ما ذكره مفهمًا الحَيرَة في أقل الأحوال المحتملة وهذا بعينه هو الذي يفهم من الرسالة المنسوبة إليه بتحقيق وتعليق الدكتور السمهري. وهو ما يفهم أيضًا من كلام ابن القيم المتقدم فإنه يفيد بقاء الإشكال عنده، ولو كان في ذلك المصنف ترجيح القول بفنائها وأدلته لكان كافيًا لمثل ذلك التلميذ من مثل ذلك الشيخ، ولكان هو فضلَ ذلك العلم الذي استجْوده ليدفع عنه الحيرة والتوقف.

الثالث: كان لخصومه حظ وافر في نسبة ذلك إليه، إما بسبب ما تقدم في الوجهين الأول والثاني أو بسبب محلّهم أو هما معًا، فإنه قد يشتهر عن العالم ويحكى عنه قول لم يقل به بل ولا سمعه ولعله لم يخطر بقلبه. هذا أبو محمد ابن حزم يصرح في كتابه «حجة الوداع» و«المحلى» بأن السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط يبتدئ بالصفا وينتهي بالمروة، ولم يكتف بذلك بل رد على من يقول بخلافه بالنقل=

= والحسّ ثم يشتهر بين الخاصة فضلاً عن العامة أنه يقول: الطواف بينهما أربعة عشر شوطًا ويعدّون هذا من شذوذه، وأغرب من هذا الحكاية التي فيها أنه لم يطلب العلم إلاَّ بعد السادسة والعشرين، وكان ذلك أول دخوله المسجد... في قصة طويلة مشهورة تذكر في المجالس والمحاضرات، نعم ولا يحكيها إلاَّ أهل العلم، منهم من يقولها مادحًا ومنهم من يقولها ذامًا، والقصة باطلة واقعًا وتاريخًا، وأما الإسناد فلا إسناد، وقد تفقه ابن حزم وطلب الحديث على بعض شيوخه الذين ماتوا وهو دون العشرين وكان طلبه قبل ذلك بسنين. وأعجب من هذا وذاك ومن كل عجيبة أنه يستفيض عن ابن تيمية نفسه أنه لم يحج ولم يعذروه في ذلك، فهلاً عذروه إذ لمزوه إعذارًا قائمًا على حسن ظن بمثل ذلك العالم المجاهد، ولقد رأيت السقاف المعاصر ذكر هذه الفرية في بعض كتبه وحكاها عن أحمد الغماري. قال أبو محمد: كذب السَّقَّاف وما صدق الغماري، وصدق ابن تيمية إذ ذكر في حُرّ كلامه في أكثر من كتاب أنه حج إلى مكة ومن ذلك ما في الاقتضاء ص٤٢٩.

وقد ذكر ابن تيمية عن بعض خصومه أنه كان يقول عنه إنه يقول: إن الله في زاوية وَلَدَ ولداً. ذكر ذلك في الفتاوى (٣/ ٢٥٥). وحكى ابن بطوطة في رحلته (ص٩٥): أنه رأى ابن تيمية يخطب يوم الجمعة بدمشق فكان من جملة كلامه أنه قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر» وذكر قصة مفصلة. وهذه ليست أول كذبة في الرحلة.

والمقصود أنه يجب التروّي عند كل دعوى غريبة والتأمل في كل منقول لا سيما إذا كان الناقل خصمًا أو من في حكمه فإن غولبت في التصديق فلا تغلبنَّ في النقل، والمقام لا يتحمل بسطًا أكثر من هذا، فإن الغرض متعلق بسواه. والله المستعان.

وأَلَّفَ الصَّنْعَانِ والشَّوْكَانِي   وابْنُ الْوَزِيْرِ الْعَالِمُ اليَمَانِي
والذَّهَبِيْ والسُّبكِ وابْنُ تَيْمِيَهْ   وَمَا نَرَىٰ لِبعضها مِنْ باقِيَهْ
وَصَنَّفَ الْوَالِدُ فِيْهَا الْكَشْفَا   واخْتَرْتُ بَعْدَ طُوْلِ بحْثِي الْوَقْفَا
وَأَكْثَرَ النَّاسُ بِهذَا الزَّمنِ   كَلامَهُمْ فِيْهَا بِمَا لَمْ يُسْمِنِ(١)



---

(١) وتتابعت التصانيف بعد ذلك وممن صنف فيها العلامة الصنعاني والشوكاني وقبلهما العلامة محمد بن إبراهيم الوزير والذهبي، وألَّف فيها السبكي رسالة يرد فيها على ابن تيمية لشهرتها عنه منذ ذلك الحين، وصنَّف قبلهم ابن تيمية كتابًا في هذه المسألة كما تقدم، وبعض تلك المصنفات ـ ككتاب الذهبي ـ مفقود غير موجود، وصنّف فيها الوالد ـ متعه الله بالعافية في الدارين ـ كتابًا سماه «كشف الأستار» انتهى فيه إلى تبرئة الشيخين من القول بفناء النار، تبرئة سلك فيها مسلك الترجيح في ابن القيم واليقين المقطوع به في شيخه، ولم يظهر لي ذلك في «ابن القيم» ولا ظهر لي الصواب فيها بعد بحث ومباحثة في الكتب ومع أهل العلم، والله المستعان، وهو الفتاح العليم. وأكثرَ الناسُ في هذا العصر كلامهم في هذه المسألة تصنيفًا وجدالاً ومباهلة، ولم أر فيها ما يسمن ويغني إذ لا جِدَّة هناك لا في الدليل ولا في التدليل. والله أعلم.

القول في الشفاعة وأنواعها

ثُمَّ الشَّفاعَةُ ثَمَانٌ تُنْتَضى ... وَاقِعَةٌ بِشَرْطِ إِذْنٍ وَرِضَا

شَفَاعَةٌ عُظمى، وَأُخْرَىٰ فِي فِئَهْ ... تَكَافَأَتْ خَيْرَاتُهُمْ والسَّيِّئَهْ

لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، ثُمَّ مَنْ أُمِرْ ... بِهِ إِلَىٰ النَّارِ لِيَتَّقي الضَرَرْ

ثُمَّ الَّتِي في رِفْعَةِ الْمَنَازِلِ ... وَقَدْ أَجَازَ هذِهِ الْمُعْتَزِلِيْ

شَفَاعَةٌ فِي فِئَةٍ أَنْ يَلِجُوْا ... بِلاَ حِسَابٍ، وَلِقَوْمٍ وَلَجُوْا

فِي النَّارِ حَتَّى يَخْرُجُوا، والسَّابِعَهْ ... تَأْتِي لِتَخْفِيْفِ الْعَذَابِ نَافِعَهْ

كَذَا شَفَاعَةٌ لأَهْلِ جَنَّتِهْ ... كُلِّهِمُ لِيَدْخُلُوا بِرَحْمَتِهْ[1]

---

(١) والشفاعة واقعة يوم القيامة بشرط إذن الله ورضاه. وهي ثمان:

الأولى: شفاعة عظمى في أن يأتي الله لفصل القضاء وهي خاصة بالنبي ﷺ.

الثانية: شفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة.

الثالثة: شفاعة في قوم أمر بهم أن يدخلوا النار ليدخلوا الجنة.

الرابعة: شفاعة في قوم دخلوا الجنة أن ترفع منازلهم ودرجاتهم، وهذه الشفاعة أجازها من خلّد أصحاب الكبائر كالخوارج والمعتزلة وكذلك الأولى.

الخامسة: شفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب. =

....

= **السادسة**: في قوم دخلوا النار من ذوي الكبائر ليدخلوا الجنة.
السابعة: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ في عمه أبي طالب ليخفف العذاب عنه.
الثامنة: شفاعة النبي ﷺ في كل من استحق الجنة ليدخلها.
ويخرج الله أقوامًا من النار بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، وينشئ الله أقوامًا يدخلهم الجنة يملأ بهم ما فضل منها.

مســألــة

وفِي الكَبائِرِ اضطِرابٌ شُهِرا ... والْحَقُّ أَنَّ كُلَّ أَمرٍ أَخْبَرَا

الوَحْيُ أَنَّهُ كَبِيْرَةٌ وَمَا ... فِيْهِ وَعِيْدٌ غَضَبٌ لَعْنٌ دِمَا

واللَّمَمُ: الهَمُّ وَفي الصَّغِيْرَةِ ... خُلْفٌ لَهُمْ، وَقِيْلَ: غَيْرُ تَا وتِيْ[1]



(١) وفي تعريف الكبيرة وعدد الكبائر خلاف مشهور، والحقُّ أن كلّ ما ترتب عليه حد أو جاء فيه وعيد بالنار أو اللعن أو الغضب أو كان مما يتعلق بدماء بني آدم المحرمة فهو كبيرة، وفي الصغيرة خلاف مبني على معرفة الكبيرة، قيل: ما عدا ما ذكرنا، أي: ما ليس عليه توعد بالنار... إلخ. وقيل: ما بين اللمم والكبيرة، ومن العلماء من جعل اللمم مرادفًا للصغيرة ومنهم من جعله الهمّ، والله أعلم.

فصلٌ في الإيمان بالقدر

وَسِرُّ رَبِّنا تَعالَىٰ القَدَرُ لَمْ يَدْرِهِ مَلائِكٌ أَوْ بَشَرُ
إنَّ السَّعيدَ بِقَضاءٍ سَعِدَا وَذُوْ الشَّقَا بِمِثْلِه قَدْ بَعُدَا
وَأَرْبَعٌ مراتبُ الإِيْمَانِ بِقَدَرٍ: وَهْيَ عَلَى الإِيْقَانِ
العِلْمُ كَتْبٌ ثُمَّتَ المَشِيْئَةُ وَبَعْدَهَا الْخَلْقُ هِيَ الرَّابِعَةُ
وَذُوْ اعْتِزَالٍ سَالِبٌ كُلَّ قَدَرْ وَجَاعِلُ الأَقْدَارِ زَعْمًا لِلْبَشَرْ
قَابَلَهُ الْجَبْرِيَّةُ السُّلاَّبُ عَنْ خَلْقِهِ اخْتِيَارَهُمْ فَخَابُوا
أَمَا دَرَى الأَغْرَارُ أَنَّ الرَّبَّا قَدْ نَسَبُوا الظُّلْمَ إِلَيْهِ، تَبَّا
لِهذِهِ الْمَقَالَةِ الصَّلْعَاءِ عَوذًا بِهِ مِنْ هذِهِ الأَهْوَاءِ
وَقَدْ أُتُوْا مِنْ حيثُ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الإِرَادَتَيْنِ شَرْعًا فَشَقُوا
إِحْدَاهُمَا دِينِيَّةٌ مَرْضِيَّهْ وَيَأْمُرُ الله بِهَا شَرْعِيَّهْ
أُخْراهُمَا إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةُ لِقَدَرٍ وَمشِيئةٍ مَنْسُوْبَةُ[1]

(١) القدر سرّ الله تعالى في خلقه لا يعلمه ملك أو بشر، والسعيد سعيد بقضاء الله وقدره والشقي شقيّ بقضاء الله وقدره.

ومراتب الإِيمان بالقدر أربع:

١ـ العلم. ٢ـ الكتابة. ٣ ـ المشيئة. ٤ـ الإِيجاد. =

فَـصَـيَّـرَ الْـجَـبْـرِيَّـةُ الْـعِـبَـادا مُـنْـفَـعِـلِـيْـنَ دُونَ فِـعْـلٍ سَـادَا
إِذْ جَـعَـلُـوْا صَـلاَتَـهُ وَحَـجَّـهْ كَـمَـرَضٍ وَمِـيْـتَـةٍ فِـي الـحُـجَّـهْ
وَجَـعَـلُـوْهُ فَـاعِـلًا ذَوُوْ الْـقَـدَرْ دُوْنَ انْـفِـعَالٍ، ثُـمَّ صَـحْـبُـنَا الـغُـرَرْ

= وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن كل شيء بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، والمعتزلة خالفوا في ذلك فسلبوا القدر وجعلوا المخلوق قادرًا استقلالاً فزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر ونفذت مشيئته وهؤلاء هم القدرية النفاة، ويقابلهم الجبرية المحتجون بالقدر الذين سلبوا اختيار العبد وجعلوه مجبرًا على فعل المعصية وهؤلاء أعداء الله وأولياء إبليس الذي منهم من يعذره لأنه لم يكن له اختيار، وهم الذين يتهمون الجبار بالظلم لأنه يعاقب عبيده على ذنب كانوا مسيّرين فيه لا مخيّرين نعوذ بالله من مثل هذا الكلام وأهله.

وقد أُتي هؤلاء من سوء فهمهم وعدم تأملهم في كتاب ربهم الذي دلّ على أن الإرادة نوعان:

١ـ إرادة كونية قدرية يشاؤها الله تعالى يدخل فيها الكفر والمكروه وضدهما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢ـ إرادة شرعية دينية يرضاها الله تعالى ويحبها، وبمقتضاها أمر عباده ونهاهم. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والإرادتان مجتمعتان في إيمان المؤمن، وتنفرد الأولى في حق العاصي.

والصلعاء في اللغة: كل خِطَّة مشهورة، والداهية، والأغرار جمع غِرّ: من لا تجربة له.

قَدْ صَيَّرُوْهُ فَاعِلًا مُنْفَعِلاً   واجْتَزَؤوْا مِنَ المَقَامَيْنِ كِلاَ
والأَوَّلاَنِ نَظَرَا بِعَيْنِ   عَوْرَاءَ لاَ تُبْصِرُ كُلَّ ذَيْنِ
وَفِي «الشِّفَا» الشِّفَاءُ لِلْعَلِيْل   دَحْضُهُمَا بِالْعَقْلَ والدَّلِيْلِ(١)

(١) هذا الكلام فذلكة لما سبق، وحاصله: أن الجبرية جعلت العبد منفعلاً يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة وحركته بمنزلة حركات الأشجار، فصلاته وصومه وحجه بمنزلة مرضه وموته، جعلوا ذلك في الحجة سواء. وأما القدرية النفاة فإنهم جعلوه فاعلاً محضًا غير منفعل في فعله؛ أما صحبنا أهل السنة نضر الله وجوههم فإنهم توسطوا في ذلك وجعلوا العبد فاعلاً ومنفعلاً واجتزؤوا من المقامين كليهما، والأولان كل منهما نظر بعين عوراء.
هذا فحوى كلام العلامة ابن القيم في كتابه القيم «شفاء العليل» في الباب الثامن عشر.
والغُرَرَ جمع أغَرُّ: الشريف والأبيض من كل شيء. هكذا في القاموس، وقيل: لا يكون الغُرَرُ جمعًا لأغرّ في الأصوب، وما في النظم جارٍ على غير المشهور، والله أعلم.

مناظرة ظهر فيها الحق في هذا الباب

تَنَاظَرَ القَاضِيْ مَعَ الحَبْرِ أَبِيْ إِسْحَاقَ، قَالَ ذَلِكُمْ وهُوَ أَبِيّ

سُبْحَانَ ذِيْ تَنَزُّهٍ عَنْ فَحْشَا قَالَ أَبُوْ إِسْحَاقَ: ذُو الْجِرِشَّىٰ

سُبْحَانَ مَنْ لاَ وَاقِعٌ فِي مُلْكِهِ إِلاَّ الَّذِي يَشَا، وَبَعْدَ هذِهِ

سَأَلَ قَاضٍ: هَلْ يُرِيْدُ الْكُفْرَا؟ قَالَ أَبُوْ إِسْحَاقَ: يُعْصَىٰ قَهْرَا؟

قَالَ: أَرَيْتَ إِنْ قَضَىٰ عَلَيَّ بِهْ أَحْسَنَ أَمْ أَسَاءَ؟ يَا هذَا انْتَبِهْ

قَالَ أَبُوْ إِسْحَاقَ: إِنْ يَمْنَعْكَ مَا تَمْلِكُهُ فَظُلْمُهُ قَدْ حُتِمَا

وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ لَهُ فَهُو يَخُصّ مَنْ يَصْطَفِيْ فَأُفْحِمَ الْقَاضِيْ وغُصّ[1]

---

(١) هذه مناظرة مشهورة وقعت بين القاضي عبدالجبار الهمذاني وكان معتزليًا، دخل على الصاحب بن عباد وكان عنده أبو إسحاق الإسفراييني وهو من محققي الأشاعرة. فقال عبدالجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء، ففطن أبو إسحاق وقال على الفور: سبحان من لا يقع في ملكه إلاّ ما يشاء. ففهم القاضي أن أبا إسحاق عرف مراده، فسأله القاضي أيريد ربنا أن يُعصىٰ؟ فقال أبو إسحاق: أيُعصى ربنا قهرًا؟ قال القاضي: أرَأيتَ إن منعني الهُدىٰ وقضى عليَّ بالردىٰ أحسن أم أساء؟ فقال له أبو إسحاق: إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن كان منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء، فانصرف من كان في المجلس=

. . . .

= ممن حضر قائلين: والله ليس بعد هذا الجواب جواب، وقام المعتزلي محجوجًا إذ لم يستطع الكلام بعد جواب أبي إسحاق.

و«أبيّ» في عجز البيت الأول من الإباء. و«الجرشي» بكسر الجيم والراء وتشديد الشين مفتوحة: النفس، والمقصود: ذو النفس الأبية أيضًا. و«أريت» بحذف الهمزة بعد الراء لغة قرأ بها في الذكر الكسائي من السبعة، و«غص» بضم الغين: شرق بريقه.

مسألة

وَالرِّزْقُ فِي الْحَرَامِ وَالْحَلاَلِ ... وَبِالْحَلاَلِ خَصَّ ذُو اعْتِزَالِ

قِيلَ: أَخَالِقَانِ يَرْزُقَانِ ... أَمْ خَالِقٌ، عَلَيْكَ بِالْبَيَانِ[1]



(١) الرزق: هو ما ينتفع المرتزق بحصوله سواء كان المنتفع به حرامًا كالربا والخمر أو حلالاً، وخالفت المعتزلة في ذلك فقالوا: الحرام ليس برزق وفسروه تارة بما لا يمنع من الانتفاع به، وذلك لا يكون إلاَّ حلالاً وفسّروه تارة بمملوك يأكله المالك، ويلزمهم على هذا التفسير أن ما تأكله الدواب ليس برزق وهو مصادم لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ويلزمهم على التفسير الأول بل على كلا التفسيرين أن من أكل الحرام ـ طول عمره ـ لم يرزقه الله تعالى أصلاً، ويلزمهم أيضًا أن يكون لذلك المنتفع به خالق آخر، وهذا ما لا يقولونه ولا يقول به أحد.

القول في الصحابة وبيان فضلهم
رضوان الله عليهم

وَمِنْ أُصُولِ صَحْبِنَا الإِمْسَاكُ عَنْ ... صَحْبِ النَّبِيِّ فِي الَّذِيْ جَرَىٰ وَعَنّ
وَبَعْضُهُمْ يَفْضُلُ بَعضًا فَالأَغَرّ ... صِدِّيْقُهُمْ أَفْضَلُ وَالثَّانِي عُمَرْ
وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ أَوْ قَبْلُ عَلِيْ ... قَوْلاَنِ والْوَقْفُ لِبَعْضٍ يَنْجَلِي
فِيْ «فِصَلٍ» فَضَّلَ أَزْوَاجَ النَّبِيْ ... عَلَى الْجَلِيلَيْنِ، وقُلْ: لم يُصِبِ
وضَلِّلِ الطَّاعِنَ فِي خِلاَفَةِ ... أَحَدِهِمْ وَانْسُبْهُ لِلْجَهَالَةِ[1]
وَمَا رَوَوْهُ مِنْ مَسَاوٍ: كَذِبُ ... أَكْثَرُهُ، وَبَعْضُهُ مُنْقَلِبُ

---

(١) من أصول أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة وعرض لهم من اختلاف ونشر فضائلهم.

وبعضهم أفضل من بعض، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وقيل: علي، وقيل: بالوقف فيهما، ويرى في كتاب «الفِصَل» أبو محمد بن حزم فَضْلَ أزواج النبي ﷺ على جميع الصحابة ولم يُصبْ ـ رحمه الله ـ وكل من طعن في خلافة أحدهم كالخوارج والرافضة فهو ضال.

و«عن» في آخر البيت الأول فعل ماض معناه: عَرض. والأغرّ في اللغة: الأبيض والشريف.

عَنْ وَجْهِهِ، أَوْ كَانَ فِيْهِ زَيْدٌ أَوْ	نَقْصٌ، فَفَتِّشِ الَّذِيْ فِيهِمْ رَوَوْا
وَلَيْسَ مَعْصُومًا مِنَ الصَّغَائِرِ	كُلُّهُمُ نَعَمْ، وَلاَ الكَبَائِرِ
إِنْ أَنْفَقَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ نَحْوَ مُدْ	خَيْرٌ مِنَ المُنْفِقِ تِبْرًا كَأُحُدْ
زَلاَّتُهُمْ مَغْمُورَةٌ فِي جَنْبِ	فَضَائِلِ الأَقْوَامِ إِيْ وَرَبِّي
مَنَ أحْسَنَ الْقَوْلَ بِأَزْوَاجِ النَّبِيْ	وَصَحْبِهِ فَهْوَ بَرَا مِنْ رِيَبِ[1]



(١) والآثار المروية في مساويهم أكثرها كذب، ومنها ما غير عن وجهه، ومنها ما كان فيه زيادة أو نقص، وما صح هم معذورون فيه أخطأوا أم أصابوا لأنهم مجتهدون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أنهم معصومون من الصغائر بل ولا الكبائر في الجملة، وقد ثبت عن النبي ﷺ في فضلهم أن من بعدهم لو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه.

ثم إن زلاتهم النزرة ليست بشيء إذا قوبلت بفضائلهم ومحاسنهم فهي مغمورة في صحبتهم لرسول الله ﷺ والجهاد في سبيل الله والنصرة والهجرة والأعمال الصالحة.

والبراءة من ريبة الطعن في الدين والدسّ في جنابه هي في حسن القول بأزواج النبي ﷺ وجميع صحبه الكرام لأن تفاصيل الشريعة منقولة عنهم وهم عدول بشهادة القرآن فمن طعن فيهم فقد طعن في الكتاب والسنة وماذا بقي بعد هذا.

تفريع

وَكُلَّ أَتْبَاعِ النَّبِيْ نُحِبُّ ... وَظَالِمٌ خُصَّ فَلاَ يُسَبُّ
والنَّاسُ شَتَّى فِي يَزِيْدَ الثاني ... فَمِنْهُمُ: الشَّاتِمُ بِاللِّسانِ
وَمِنْهُمُ مُحِبُّه، ثُمَّ الأَحَبّ ... أَن لاَ تَسُبَّ يَا أَخِيْ وَلاَ تُحِبّ
وَلَيْسَ مِنْ صَحَابَةٍ، والأوَّلُ ... أَيْ: عَمُّهُ، مِنَ الصِّحَابِ بَطَلُ[1]

---

(١) وأتباع النبيِّ ﷺ وصحبه رضي الله عنهم جميعهم نحبُّهم ولا نحمل لهم في قلوبنا غلاً ولا حسيكة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، ومن ظلم منهم لا نخصّه بطعن أو لعن، وفي الصحيح مرفوعاً: «**لعن المؤمن كقتله**».

والناس مختلفون في أمر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فمنهم اللاعن، ومنهم المحب، ومنهم من لا يسبّ ولا يحبّ، وهو الأولى والأحبّ، وليس السبّ نوعًا من الذكر يؤجر عليه المسلم، وأمّا تَرك محبته فلأنه لم يصدر عنه ما يوجب ذلك فضلاً عن ظلمه وسيرته وأعماله التي توجب عدم ذلك.

و«يزيد» هذا ليس من الصحابة، فإن قومًا خلطوا بينه وبين عمّه يزيد بن=

وَلاَ تُكَفِّر مُسْلِمًا بِذَنْبِ ... وَلَوْ عَلاَ، واتْبع سَبِيْلَ الصَّحْبِ
وَلْتَمْنَعِ التَّفْسِيقَ بالتَّأَوُّلِ ... دُوْنَ هَوًى يُدْرَكُ مِنْ تَقَوُّلِ[1]

= أبي سفيان بن صخر الذي كان يقال له: يزيد الخير. قال ابن حجر في «الإصابة»: «كان من فضلاء الصحابة، من مسلمة الفتح».

(١) اعلم أن تكفير المشكوك في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإيمانهم نوع من التوثّب الذي لا يقيّده زمام ولا خطام، ومن جنس الجرأة المذمومة التي لا يضبطها برهان ولا يعقلها عقل. والإسلام بيّن من صاحبه والكفر بيّن من صاحبه، وقد يطرأ على كلٍّ ما يشبه عمل الآخر والأصل أن يردّ كلٌّ إلى أصله في الحكم عليه عند الاشتباه، ولا يحكم على المسلم بالكفر والردّة إلاّ إذا ثبت الدليل البيّن في أن مرتكب ذلك كافر، غير متأول، أقيمت عليه الحجة، وتبيَّنت له فلجَّ وأعرض عنها، والعاقل من سلك سبيل السلامة وهو سبيل السلف الطيب أصحاب النبي ﷺ وأتباعه بإحسان، فإنهم لم يتفوّهوا بإطلاق الكفر على الخوارج الذين كانوا يكفرونهم ويستحلون أبشارهم وأموالهم وورد فيهم من نصوص الوعيد الصحيحة ما ورد بل وصفهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنهم إخوة (أي: في الدين)، فقال: إخواننا بغوا علينا، وقال: من الكفر فروا. فاللازم للمسلم أن يزمَّ لسانه ويعلم أنه لم يُتعبَّد بتكفير من ظاهر حاله الإسلام ولا بالحكم غليه بأنه من أهل النار وأنّىٰ له ذلك ومن أين له أنه مات على اعتقاد ما كفَّره به إن كان صادقًا في الحكم عليه ابتداءً، لا سيما أن التوبة تحصل بمجرد انعقادها في القلب ولو لم يعلمها أحد من خلق الله تعالى، ومن ضيّق على نفسه السبل وأهدى إلى غيره حسناته وتحمل وزر كلّ تابع له إلى يوم القيامة فقد ارتكب مطية الجرأة العزلىٰ من كل أسلحة العلم والبصيرة والحيطة، وقد مضى في الكلام عن البدعة وأقسامها مما يتعلق بالتكفير والتفسيق بعض ما ذكر. والله المستعان.

مسألة

وَصَلِّ خَلْفَ كُلِّ فَاجِرٍ وَبَرّ   كَمَا رَوَوْا عَنِ التَّقِيّ ابْنِ عُمَرْ
مِنِ ائْتِمَامِهِ وَرَا الحَجَّاجِ   وَصَلِّ إنْ مَاتُوْا عَلَيْهم رَاجِي[1]

(١) وصلِّ خلف كل بر وفاجر تحاشيًا للفرقة كما رووا عن التقي الجليل عبدالله بن عمر من صلاته خلف الحجاج بن يوسف، وإن ماتوا صلِّ عليهم وأنت راجٍ لهم المغفرة وحسن العُقبى. و«راجي»: خبر مبتدأ محذوف.

القول في الأئمة والولاة وطاعتهم والدعاء لهم وعدم الخروج عليهم والبراءة من أهل البدع

وَلاَ نَرَىٰ الخُرُوجَ عَنْ أَئِمّةِ   وَسَمْعُنَا حَقٌّ لَهُمْ فِي الطَّاعَةِ

وَلَوْ يَجُورُوْن وَنَدْعُو بالرَّشَادْ   لأَنَّ في صَلاَحِهِمْ نَفْعَ العَبَادْ

إنَّ الدُّعَاءَ لِوَلِيِّ الأَمْرِ   بالخَيْرِ والرَّشادِ بَعْضُ البِرِّ(١)

وَنَتْبَعُ السُّنّة والجَمَاعَهْ   إنَّ يدَ اللّهِ عَلَى الجَمَاعَهْ

ذَوِيْ تَبَرٍّ مِنْ كَلاَمِ الْمُرْجِئَهْ   وَقومِ كَرَّامٍ وَمِنْ كُلِّ فِئَهْ

زَائِغَةٍ وَقَالَةِ الْخَوَارِجِ   وَكُلِّ رَافِضٍ مَضَى أَوْ سَيَجِيْ

وَلْتَطْرَحُوا الْفُرْقَةَ أَو خُلْفًا أُبِيْ   أَرْضَ الْفَلاَ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ الأَبِ(٢)

---

(١) ولا نرى الخروج عن الأئمة وولاة الأمر ولو حصل منهم جور ولا نرى الدعاء عليهم وطاعتنا لهم حق واجب ما لم يأمروا بمعصية، ولا ننزعُ يدًا من طاعتهم، والدعاء لهم بالخير والرشاد والصلاح من البر والخير لأن في صلاحهم صلاح العباد والبلاد.

(٢) ونتبع السنة والجماعة مجتنبين الشذوذ متبرّئين من كلام المرجئة والكرامية وكل فرقة زائغة ومن أقوال الخوارج والرافضة، مع اطراح الفرقة والخلاف المرفوض أرضًا، والخلاف المرفوض: الذي لا معنى له إلاّ قصد المخالفة أو كانت المصلحة فيه أقلّ. =

. . . .

= و«يخُل لكم وجه الأب» جواب الأمر وهو كناية قصد بها التلويح عن حصول خالص المحبة المطلقة من كلّ، و«من ائتمامه» بكسر النون ويجوز الفتح.

و«ذوي»: حال من فاعل «نتبع»، و«قالة» مصدر قال يقول، و«أبي»: فعل ماض مغيّر الصيغة.

القول في الفرقة الناجية

وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الَّتِي عَلى	نَهْجِ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَةِ الْمَلاَ
و«كُلُّهَا فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدهْ»	زِيَادَةٌ ضَعِيْفَةٌ مُجَرَّدَهْ
لِبَعْضِنَا، وَهِيْ لَدَى الْجَمَاهِرِ	صَحِيْحَةٌ، ونَجْلُ حَزْمِ الظَّاهِرِي
لَمْ يُثْبِتِ الْحَدِيْثَ كُلَّهُ كَمَا	فِي «فِصَلٍ»، وَذُو السَّلاَسِلِ حَمى
ثُبُوتَهَ فِيْهَا وَكَانَ الْمَقْبَلِيْ	وَجَّهَ مَعْنَاهُ بِتَوْجِيْهٍ عَلِيْ[1]



(١) والفرقة الناجية هي من كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه، وزيادة: «كلها في النار إلاَّ واحدة» زيادة ضعيفة مجرّدة من الصحة عند جماعة، حكى ذلك الشوكاني وضعفها صاحب «الروض الباسم» وهي لدى الجمهور صحيحة، وضعف الحديث كله أبو محمد بن حزم في كتابه «الفصل»، وصحح تلك الزيادة الألباني في السلسلة الصحيحة، ووجه المَقْبَلي معناه بتوجيه حسن نقله عنه في السلسلة.

خاتمة

اِعْلَمْ هَدَاكَ اللهُ أَنَّ الْعِصْمَهْ ... أَنْ تَطْرَحَ الْهَوَىٰ اطِّرَاحًا ثَمَّهْ

وَلاَ تُجَاوِزْ قَدْرَ مَا حُدَّ لَكَا ... إِنَّ قِوَامَ الدِّينِ فِي إِنْكَارِكَا

لِكُلِّ مُنْكَرٍ وَعُرفِ الْعُرْفِ ... فَكُلُّ مَا فِي الْوَحْيِ جَاءَ يَكْفِي

وَسَكَنَ الْفُؤادُ والْمَعْرِفَةُ ... وَوَرِثَتْ يَقِينَهُ الأَئِمَّةُ

فَلاَ تَخَفْ إِنْ كُنْتَ قَدْ وَصَفْتَهْ ... بِوَصْفِهِ لِنَفْسِهِ أَلْبَتَّهْ

وَدُوْنَ ذَاكَ فَاصْمُتَنْ، وَلاَ تُذِقْ ... نَفْسَكَ هَمَّ تَكْلِيْفٍ يَشُقّ

مَنْ رَامَ مَا يُحْظَرُ عَنْهُ عِلْمُهُ ... وَلَمْ يَكُفَّ كَفَّهُ مَرامُهُ

عَنْ خالِصِ التوحيدِ وَالْمَعْرِفةِ ... وَعَادَ تَائِهًا عَلَى وَسْوَسَةِ[1]

---

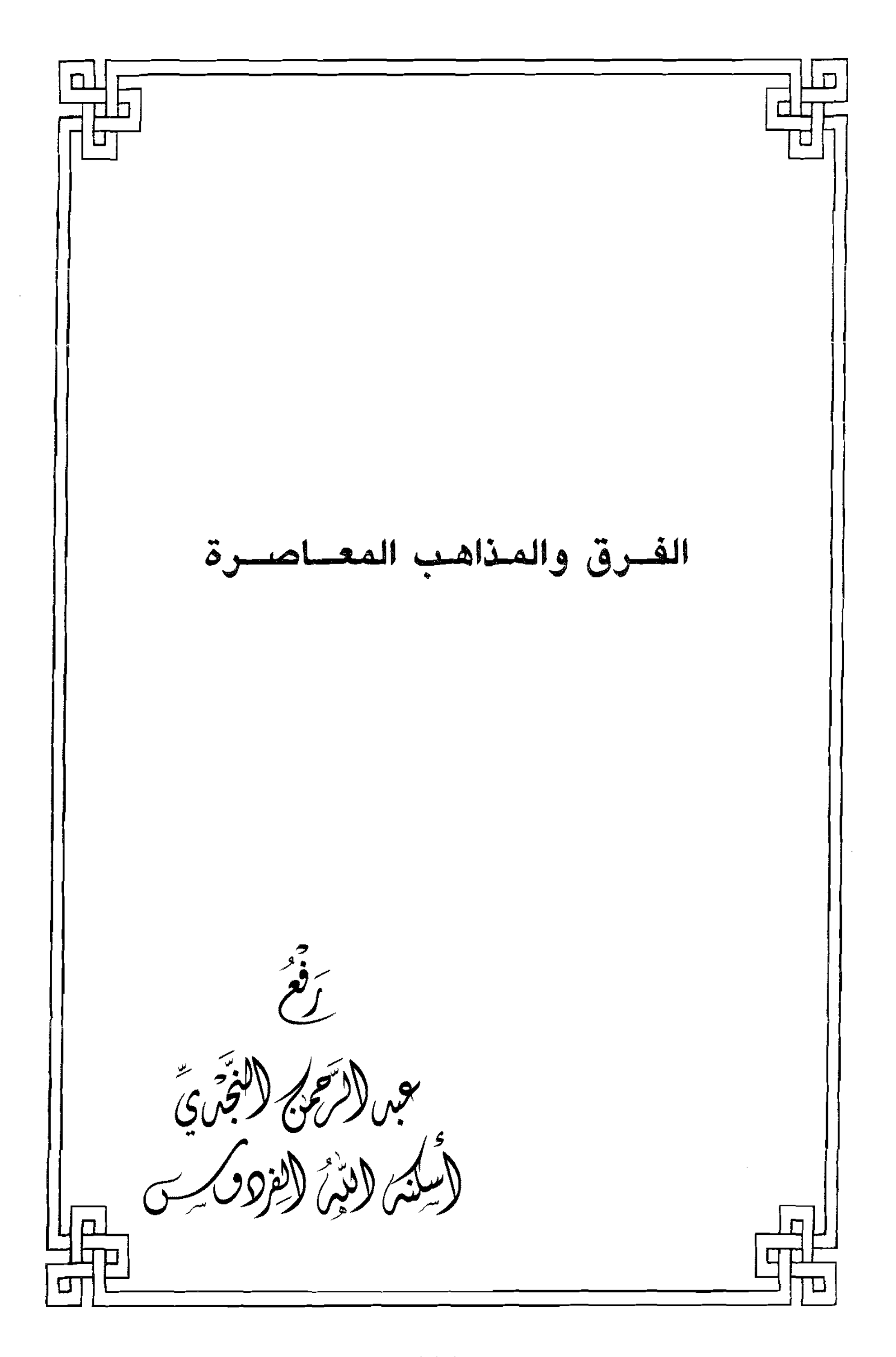
(١) اعلم ـ هداك الله ـ أن العصمة في الدين: أن تعرف قدر نفسك ولا تجاوز مقدار ما حُدَّ لك، فإن من قوامِ الدين إنكارك لكلِ منكر، ومعرفة المعروف، فما كان أصله في الكتاب والسنة، وسكنت إليه الأفئدة، وتوارثت علمه الأمة، فلا تخافن إن كنت قد وصفت ربك بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما لم يكن كذلك فاصمت عنه كما صمت عنه الرب تعالى، ولا تكلّف نفسك وعقلك بما لم تكلّف به ولا تدركه، وما سكت عنه الوحي محظور عنك علمه، وإن رُمت وطلبت ذلك حجبك=

وَهــهُنَــا يَتِــمُّ نَظْــمُ الْـمُـعْـتَـقَـدْ وَبَـعْـدَهُ نَـظْـمُ الـمَـذَاهِـب ٱتَّـقَـدْ

رَبِّ أَعِــنْ حَــافِـظَـهُ وَكُــنْ لَـهُ مُــسَـــدِّدًا إِذَا حَــوَاهُ كُــلَّـــهُ

= ذلك الفعل عن خالص التوحيد والمعرفة وعدت تائهًا موسوسًا.

وقوام الدين بكسر القاف: قيامه، و«ألبتة»: بهمزة قطع وهو في بعض نسخ القاموس بهمزة وصل والمعتمد منها ما فيه القطع، والوجهان جائزان.



الفـرق والمـذاهـب المعـاصـرة

الإباضيّة والخوارج

هُمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِئَةِ الخَوَارِجِ ... نَاشِئَةٌ، وَنَظْمُهَا سَوْفَ يَجِيْ
مِنْ صَحْبِهِمْ سَلِيْلُ زَيدٍ جَابِرُ ... وَابْنُ حَبِيْبِ الرَّبِيْعُ الآخَرُ
قَالُوا بِخَلْقِ «الذِّكْرِ»، والصِّفَاتُ ... لَدَيْهِمُ يَا صَاحِبِيَّ الذَّاتُ
أَقْوَالُهُمْ حَوْلَ الْمَجَازِ دَائِرَهْ ... وَلاَ يَرَوْنَ رُؤْيَةً فِي الآخِرَهْ
وَكَفَّرُوا مُرْتَكِبَ الْكَبِيْرَةِ ... وَخَلَّدُوهُ بَعْدُ في ﴿ٱلنَّارِ ٱلَّتِى . . .﴾
وَسَوَّغُوا تَقِيَّةً، وَأَوْرَدَا ... نَجْلُ حَبِيْبٍ بَعْضَ ذَاكَ مُسْنَدَا
وانْتَسَبَ القَوْمُ لِعَبْدِ اللّهِ ... إِبَاضِ المُقَاعِسِي الدَّلاَّهِ[1]



---

(١) كثير الحيرة.

الخوارج

قِيلَ لَهُمْ: نَواصِبٌ، شُرَاةُ مَارِقَةٌ، حُكْمِيَّةٌ، بُغَاةُ

إِذْ خَلَعُوا أَمْرَ الإِمَامِ الْحَيْدَرِيْ وَافْتَرَقُوا لِعَشَرٍ مَعْ عَشَرِ

فَمِنْهُمْ ذَوُوْا ابْنِ وَهْبِ الرَّاسِبيْ وَابْنُ أَبِيْ عَاصِمِ الْمُحَارِبِيْ

والنَّجَدَاتُ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرِ ثُمَّ ذَوُوْا زِيَادِ بْنِ الأصفرِ

وَأَهْلُ نَجْلِ عَجْرَدَ الْعَجَارِدَهْ وَمِنْهُمُ وَاقِفَةٌ عَلَىٰ حِدَهْ

والْحُكْمُ بِالْكُفْرِ عَلَى الْمُخَالِفِ مَعَ الْخُرُوْجِ عَنْ إِمَامِ الْحَقِّ فِيْ

كُلِّ فِعَالٍ، وَذَوُوْا الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ قَوْلُ جَمْعِهِمْ فِي سَائِرِ

وَمِنْهُمُ أَصْحَابُ ذِيْ إِبَاضِ وَقَدْ جَرَىٰ قَوْلُهُمُ فِي الْمَاضِيْ

وَفِيْهِمُ الْيَوْمَ فِئَامٌ تَبْرأُ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَهذَا نَبَأُ

أهل الاعتزال

لِوَاصِلِ نَجْلِ عَطَا الْغَزَّالِ ... مَالَ ـ تَعَصُّبًا ـ ذَوُوْا اعْتِزَالِ

والْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ قَالَ: اعْتَزَلاَ ... مَجْلِسَنَا وَاصِلُ حِيْنَ سُئِلاَ

عَنْ ذِي الكَبِيْرَةِ فَقَالَ وَاصِلُ ... لَسْتُ أَقُوْلُ: كَافِرٌ أَوْ فَاضِلُ

وَمِنْهُمُ «النَّظَّامُ» مَعْ «عَلاَّفِ» ... وَ«ابْنُ عُبَيْدٍ» «بَحْرٍ» «الإِسْكَافِيْ»

كَذَلِكَ «الْبَلْخِيُّ» وَ«الْجُبَّائِيْ» ... وَوُلْدُهُ «عَبْدُالسَّلاَمِ» النَّائِيْ

الأَمْرُ والنَّهْيُ، وَعَدْلٌ، مَنْزِلَهْ ... وَالْوَعْدُ، والتَّوْحِيْدُ، كُلٌّ أَصَّلَهْ

وَجَحَدُوا الرُّؤْيَةَ بِالأَبْصَارِ ... وَزَعَمُوْا خَلْقَ كِتَابِ الْبَارِيْ

وَ ﴿أَرِنِيٓ﴾ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ (وَحَجْبُهُ ... لِكَافِرٍ)، كَذَا ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾

وجملةٌ مِنَ الحَدِيثِ حُجَّتِيْ ... فِي رُؤْيَةِ الله بِدَارِ الْمِنَّةِ

والنَّفْيُ لِلإِدْرَاكِ لا لِلرُّؤْيَةِ ... فِي آيَةِ «الأَنْعَامِ»، أَوْ فِي دَارَةِ

دُنْيَا الغُرُوْرِ، أَوْ عُيُوْنُ الكَفَرَهْ ... وَ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ قَالَ فِيهِ الْخِيَرَهْ

فِي هَذِهِ[1]، والنَّفْيُ لِلتَّأْبِيْدِ ... زَعْمُ «أَبِيْ قَاسِمِهِمْ مَحْمُودِ»[2]

---

(١) أي: في الدنيا.

(٢) الزمخشري.

وَقَوْلُ طه: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» ... يُشَبِّهُ الرُّؤْيَةَ بالرُّؤْيَةِ لَمْ

يُشَبِّهِ الْمَرئيَّ بالْمَرْئيِّ ... فَيَا لَهُ مِنْ كَلِمٍ قَوِيِّ

وَعَطَّلُوا أَسْمَاءَهُ وَخَلَّدُوْا ... فِي النَّارِ ذَا كَبِيْرَةٍ وَأَبَّدُوْا

وَبَعْضُ مَا يَعْتَقِدُونَهُ سَبَقْ ... بَيَانُهُ وَبَعْضُ ذَاكَ فِي الْفِرَقْ

وَمُرْجِئٌ كالأشْعَرِيْ، كَرَّام ... (بالْفَتْحِ والشَّدِّ وَكالنِّظَامِ)

ضِمْنًا مَضَوا، وَحِزْبُ ذِي صَفْوَانِ ... وَنَحْوُهُ والحمدُ لِلمَنَّانِ



أهل التشيع

كُلُّ مُفَضِّلٍ عَلَىٰ الْجَمِيْعِ　　عَلِيًّا النِّحْرِيْرَ فَهْوَ شِيْعِيْ
وَقَالَ عَنْهُ: إِنَّهُ مَنْ أُوْصِيْ　　بِهِ مِنْ أَحْمَدَ النَّبِيِّ المُوْصِيْ
واخْتَلَفُوا: فَمِنْهُمُ الفُجَّارُ　　وَمِنْهُمُ الفُسَّاقُ والأشْرَارُ
وَمِنْهُمُ مَنْ مَالَ لاعْتِدَالِ　　وَهؤُلاَ أَوْلَى بِالاِسْمِ الْعَالِيْ
وَكلُّ ذِيْ تَشَيُّعٍ مُصْطَلَحِ　　فالرَّفْضُ فِيْهِ آيَةٌ لَمْ تَبْرَحِ
وَالْقَوْمُ فِيْ خِطَابِهِمْ تَقِيَّهْ　　فَكُنْ عَلَىٰ حِذْقٍ وَذَا رَوِيَّهْ
وَكُلُّنَا مِنْ شِيْعَةِ الْمُطَاعِ　　والآلِ والأصْحَابِ وَالأتْبَاعِ



أهل التصوف

مَنْسُوبَةٌ لِلصُّوْفِ لا لِلصُّفَّةِ — وَلاَ الصَّفَاءِ فَالْقِيَاسُ غَيْرُ تِيْ
وَمِنْهُمُ النُّسَّاكُ والْعُبَّادُ — كَالْعَدَوِيَّةِ كَذَا الزُّهَّادُ
جُنَيْدُهُمْ وِبِشْرُ وابْنُ أَدْهَمِ — وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ إِلَى عِلْمٍ نُمِيْ
ثُمَّ ادَّعَى الْكَشْفَ فِئَامٌ وادَّعى — مَعْرِفَةً طَائِفَةٌ ذَاتُ ادِّعَا
وَكُلُّ والِهٍ بِلَيْلَى يَذْكُرُ — وَصْلًا وَلَيْلَىٰ لاَ تَزَالُ تُنْكِرُ
وَوَحْدَةَ الْوُجُوْدِ بَعْضٌ اعْتَقَدْ — قَالَ: الْوجُودُ كُلُّهُ اللّهُ الأَحَدْ
أَشْباه مُحْيِي الدِّينِ نَجْلِ عَرَبِيْ — وَمِثْلُ نَجْلِ الفَارِضِ المُعَثْلَبِ[1]
وَمِنْهُمُ أَهْلُ اتِّحَادٍ وَحُلُولْ — وَهذِهِ عَقِيْدَةٌ ذَاتُ فُلُوْلْ
اخْتُزِلَتْ مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارى — وَوَلَدُ الحَلاَّجِ فِيْهَا سَارَا
والله أَعْلَمُ بِمَا مَاتُوْا عَلَيْهْ — مِنْ بَعْدِ مَا سَارُوْا وَمَا صَارُوْا إِلَيْه
وَفِيْهِمُ طَرَائِقٌ تَفَرَّقَتْ — فَلِلرِّفَاعِيْ فِئَةٌ قَدِ انْتَمَتْ
والأَحْمَدِيَّةُ انْتَهَتْ لِلْبَدَوِيْ — فِي مِصْرَ، عَامَ (خَلَدِ)[2] مَاتَ الدَّوِي[3]

---

(١) الشيخ المسن.

(٢) أي: عام (٦٣٤هـ).

(٣) المريض.

هـذا، وَقَـوْمٌ لِـلـدُّسُـوْقِـيْ إِبْـرَهَـمْ   انْـتَـسَـبُـوا، والـشَّـاذِلِـيَّـةُ الأُمَـمْ
انْتَسَبُوا لِلشَّاذِلِيْ أَبِي الْحَسَنْ   وانْتَشَرَتْ فِي مَغْرِبٍ وَفِي الْيَمَنْ
وَنَـحْـوُهَـا الَّـتِـي لِـنَـقْـشَـبَـنْـدِ   مَـنْـسُـوبَـةٌ، وَفَـرَّخَـتْ فِـي الْـهِـنْـدِ



الاثنا عشرية

انْتَسَبَ الْقَوْمُ إِلَىٰ اثْنَيْ عَشْرِ أَسْمَاؤُهُمْ تُمْلَىٰ بِهَذَا الشِّعْرِ
مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ نَجْلِ عَلِيْ نَجْلِ مُحَمَّدِ الجَوَادِ بْنِ عَلِيْ
سَلِيْلِ مُوْسَى الكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرِ وُلْدِ مُحَمَّدِ السَّرِيِّ الْبَاقِرِ
نَجْلِ عَلِي الْحُسَيْنِ مُوْلُودِ الْحَسَنْ فَتَى عَلِيٍّ، تمَّ نَظْمُهُمْ حَسَنْ
وَسِنْخُ[1] هؤُلاَءِ صِنْوُ[2] سَبَإِ وَهْوَ يَهُوْدِيٌّ أَتَى لِلْمَلإِ
وَأَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَهْوَ الكَائِدُ لِأَهْلِهِ العَمَرَّدُ[3] الْمُعَانِدُ
وَقَالَ بِالرَّجْعَةِ والنِّدَاءِ وَغَيْرِهَا، وانْقَادَ هؤُلاَءِ
لِزَعْمِهِ، وَزَعَمُوْا أَنَّ الكِتَابْ مُحرَّفٌ، وَصَنَّفُوا «فَصْل الخِطَابْ»
وَانْتَظَرُوْا انْبِعَاثَ نَجْلِ الحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ فِي خِتَامِ الزَّمَنِ
سِرْدَابُهُ وَسْطَ «سَمُرّا» الآنَا فَثَلَّثُوا الْعَنْقَاءَ والغِيْلاَنَا
وَكَفَّرُوا صَحْبَ النَّبِيِّ وَغَلَوْا فِي عِصْمَةِ الأَئِمَّةِ الأُلَىٰ خَلَوْا
وَأَكْذَبُ الطَّوَائِفِ الرَّوَافِضُ وَمَنْ نَحَىٰ كَقُرْمُطٍ، ومَنْ رَضُوْا

(١) أصل.

(٢) ابن.

(٣) الخبيث الداهية، كما في القاموس.

كَمِثْلِ مَا فِي «الْجَفْرِ»، وَ«الْبِطَاقَةِ» وَ«جَدْوَلٍ»، و«الهِفْتِ»، و«الرِّسَالةِ»

البابيّة والبهائية

فِي عامِ (غَرْسٍ)[1] أَعْلَنَ المِرْزَا عَلِيْ — بَابِيَّةً وَأَنَّهُ الْبَابُ الْعَلِيْ
ثُمَّ الْبَهَا فَقُرَّةُ الْعَيْنِ الَّتِيْ — مِنْ زَوْجِهَا فَرَّتْ رجَاءَ الخُلَّةِ
وَهُمْ فُرُوْخُ الرُّوْسِ والْيَهُوْدِ — والإِنْجِلِيْزِ والأَفَاعِي السُّوْدِ
وَلَمْ يَصُومُوْا فوق (طَيْ)[2] فِي السَّنَةِ — وَمَنَعُوا قراءَةً فِي السُّنَّةِ
وَحَرَّفُوا القُرْآنَ فِيْ تَفْسِيرِهِمْ — فَأَضحَكُوْا الثَّكْلى، وَمِنْ تَزْوِيْرِهِمْ
﴿إِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: أُبْدلا — مكانها سَيَّارَةٌ تَفْرِيْ الفَلاَ
ثُمَّتَ قَالُوا: (الصُّحُفُ المنَشَّرَهْ) — جَرَائِدٌ وَصُحُفٌ مُنْتَشِرَه
وَإِنْ لَقِيْتَ مِنْهُمُ فَذمَّا تَرَىٰ — فِيْ قَوْلِهِ تَنَاقُضًا وَمَا دَرى

---

(١) أي: ١٢٦٠هـ.

(٢) أي: تسعة عشر يوماً.

البوذية

مِنْ قَبْلِ عِيسَىٰ بِقُرُونٍ خَمْسَةِ زَعِيمُهُم «بُوذَا» أَي: الدَّاهي الْفَتِيْ
دَعَا إِلَىٰ تَصَوُّفٍ وَحُبِّ خُشُونَةٍ وَلِصَفَاءِ الْقَلْبِ
وَبَعْدَ مَوْتِهِ ادَّعَى الأَتْبَاعُ بِأَنَّهُ ابْنُ اللهِ ثُمَّ ضَاعُوْا
وَعَبَدُوْهُ مَرَّةً فِي الْعَامِ لأَنَّهُ ابْنُ الرَّبِّ ذِي الإِنْعَامِ
وَحَرَّقُوا مَيِّتَهُمْ لِلطُّهْرِ وَتَرَكُوْا الطَّعَامَ بَعْدَ الظُّهْرِ
وَقَدَّسُوْا كُتْبَهُمُ وما ادَّعَوْا نُزُوْلَهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَدَعَوْا
مُنْقَسِمِيْنَ فِي بِلاَدِ الْهِنْدِ وَكُورِيَا، النِّيْبَالِ، بُورْمَا، السِّنْدِ



التجانية

فِـي عَـامِ أَلْـفٍ وَمِـئَـهْ وَسِـتَّـهْ تِسْعِيْنَ أَحْمَدُ التِّجَانِي مَتَّهْ[1]

بِـقُـوَّةٍ، وبَـعْـدَهُ الْـفَـاسِـيُّ فِـي بِـلاَدِ مَـغْـرِبٍ عَـلَـىٰ تَـصـوُّفِ

وابْـتَـدَعُـوْا لَـهُـمْ صَـلاَةَ الـفَـاتِـحِ وَأَنَّـهَـا أَفْـضَـلُ مِـنْ فَـواتِـحِ

بِـسِـتِّ مَـرَّاتٍ مِـنَ الآلاَفِ وَلَـمْ يَـغِـبْ غَـيْـبٌ عَـنْ الأشْـرَافِ

وَيـدَّعِـيْ قُـطْـبُـهُـمُ لُـقْـيَـا الـنَّـبِـيْ ـ صَلَّى عَلَيْه الله ـ يا وَيْحَ الْغَبِيْ

ومَـا افْـتَـراهُ مِـنْ هُـرَا خَـيْـرًا يَـرى مِنْ اسْمِ رَبِّي، والدُّعَا بِه حَرَا[2]

وَغَـيْـرَهُ مِـنِ اعْـتِـقَـادٍ كُـفْـرِيْ وَقُـلْ بِـأَفْـرِقْـيَـا هَـوَاهُـمْ يَـسْـرِيْ

(١) مدَّهُ.

(٢) المراد: أنه يدعي فضل صلاة الفاتح على الأسماء الحسنى وأن الدعاء بها حرام، ورخّم دون نداء للضرورة.

التغريب

وَصَاحِبُ التَّغْرِيْبِ يَابْنَ الأَكْرَمِ ... يـرمِـي إِلَـىٰ صَـبـغِ حَـيَـاةِ الأُمَـمِ
بِـالْمَنْهَـجِ الغَـرْبِيِّ فِي الأُسْلُوبِ ... وَقَـدْ هَـوَىٰ بَعْـضٌ بِـذَا التَّـغْـرِيْـبِ
كَـالْيَـازِجِـيْ وَبُـطْـرُسِ الـبُـسْـتَـانِـيْ ... وَابْـنَـيْ حُـسَـيْـنٍ والْـفَـتَـى الأَفْـغَـانِـيْ
وَقِـرنِـهِ - عَـلَـى غُـمُـوضٍ - واعْـلَـمِ ... أنَّ الـيَـهُـودَ خَـلْـفَ هـذَا الـسَّـقَـمِ
كـذا الـنَّـصـارَىٰ، والْـتَـقُـوا ودَبَّـرُوا ... أَمْـرَهُـمُ مَـعَ الَّـذِيْـنَ اسْـتَـعْـمَـرُوا



حزب البعث الاشتراكي

أنْشَأَهُ صَلاَحٌ الْبَيْطَارُ	وَعَفْلَقٌ وَثُلَّةٌ أشْرَارُ
قُبَيْلَ نِصْفِ قَرْنِ «كَ»[1] الْمِيْلاَدِيْ	وَكُلُّهُمْ لاَوٍ عَنِ اعْتِقَادِ
وَقَدْ حَوَىٰ الدُّرْزِيَّ والنُّصَيْرِي	وَصَاحِبَ الإِنْجِيْلِ والْكُفَيرِيّ
أَفْكَارُهُمْ مِنْ رَهَبُوتِ مَارِكسْ	مَنْزُوْعَةٌ بِسَجْلِ كُلِّ مُنْتَكِسْ
وَلَيْسَ لِلدِّيْنِ مَكَانٌ يَكْمُنُ	لَدَيْهِمُ، وَعَمَّهُمْ تَعَلْمُنُ



(١) الكاف ترمز إلى عشرين، أي: القرن العشرين.

الدروز

أَصْلُ الدُّرُوْزِ مِنْ تَنُوْخَ وَلَخَمْ ... وَقِيْلَ: مِنْ عُرْبٍ وَفُرْسٍ وَعَجَمْ
وَأَلَّهُوا الْحَاكِمَ نَجْلَ الفَاطِمِيْ ... فِيْ أَوَّلِ الخَامِسِ سَفَّاكَ الدَّمِ
وَهُمْ قَرِيْبٌ مِنْ ذَوِيْ نُصَيْرِ ... فِيْ كُفْرِهِمْ وَمَنْهجِ وَالسَّيْرِ



الرأسمالية

قَامَتْ علَىٰ فَلْسَفَةِ الرُّوْمَانِ ... «الرَّأْسُ مالٌ» فِي ذِهِ الأَزْمَانِ
وَهْيَ تُنَمِّيْ مِلْكَ فَرْدٍ، وَتَرَىٰ ... حُرِّيَّةَ الْمَالِكِ فِي جَلْبِ الثَّرَا
وَأَعْلَنَتْ حُرِّيَّةَ الأَسْعَارِ ... والجَمْعَ بالرِّبَا والاحْتِكَارِ
فَوَلَّدَتْ أَكْلَ الْقَوِيِّ مَا مَلَكْ ... ضَعِيْفُهُمْ وَتَرْكَهُ وَلَوْ هَلَكْ
والاضْطِرَابَ فِي البُيُوْعِ والْقِيَمْ ... وَهكَذَا مَا خَالَفَ الدِّيْنَ القِيَمْ[1]



(١) قيم الأولى: جمع قيمة، والثانية وصف كزيم، وعِدًى، ورِوًى، وسِوًى.

السّيخ

السِّيْخُ فِرْقَةٌ مِنَ الْهُنُودِ ... دَعَوا بِقَرْنِ (وَي)[1] إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ

شِعَارهم تَرْكُ اجْتزاز الشَّعَرِ ... إِلَىٰ الْمَمَاتِ لِبْسَةُ الأَسَاوِرِ

وَخِرْقَةٌ تَحْتَ السَّرَاوِيْلِ، مَعَا ... مُشْطٍ صَغِيْرٍ فَوْقَ رَأسٍ وُضِعَا

وَوَضْعُ حَرْبَةٍ صَغِيْرَةٍ عَلى ... وَسَطِهِ حَتَّى يَكُونَ بَطَلاً

وَهُمْ أَولُواْ جَوْرٍ، وَظُلْم، غِلْظَةِ ... وَيُنْكِرُوْنَ سَائِرَ الْمُعْجِزَةِ

والرُّسْلَ والْكِتَابَ لَمْ يُقَدِّسُوْا ... وَقَدَّسُوا الأَبْقَارَ، والْخَمْرَ احْتَسَوْا

وأَبْغَضُوا الْهِنْدُوسَ والإِسْلاَمِي[2] ... واطَّرَحُوا مَعَانِيَ السَّلاَمِ

---

(١) أي: السادس عشر.

(٢) أي: كلّ ما ينسب إلى الإسلام.

الشيوعية

وضَعَهَا مَارِكْسُ الألْمَانِي عَامَ «يَزِ»[1] فِيْ قَرْنِنَا الزَّمَانِيْ
وَلاَ إِلَهَ وَالْحَيَاةُ مَادَّهْ شِعَارُهُ يَوْمَ رَمَىٰ إِلْحَادَهْ
وَأَعْلَنَ الشِّرْكَةَ فِي الْبِلاَدِ وَأعْمَلَ الْحَدِيْدَ فِي الْعِبَادِ
وَحَارَبَ الْمَسْجِدَ والمَصَاحِفَا وَفَتَحَ السُّجُونَ والْمَخَاوِفَا
وَأَمْرُهُمْ لَيْسَ بِخَافٍ إِذْ هُمُ «لَيْلَى» اليَهُودِ وَهْوَ «قَيْسٌ» فَافْهَمُوا



(١) العام السابع عشر؛ لأن الياء بعشرة والزاي بسبعة.

العَلمانيّة

هُمْ فَاصِلُوا الْعِلْمِ عَنِ الأدْيَانِ ... وَبَعْضُهُمْ يَشُكُّ فِي الدَّيَّانِ
وَطَعَنُواْ فِي الدِّينِ كُلِّهِ وَفِي ... هَدْيِ النَّبيِّ والنَّبيْ والمُصْحَفِ
وَفِيْهِمُ المُلْحِدُ واليَهُودِيْ ... ومِنْهُمُ أَدْعِيَةُ التَّجْدِيْدِ
وَفَصَلُوا الدِّينَ عَنِ السِّيَاسَهْ ... وَخُلُقِ لِيُطْفِئُوا نِبْرَاسَهْ
وَحَرَّرُوْا ـ كَمَا ادَّعَوْا ـ ذاتَ الخِمَارْ ... فَالدِّيْنُ ظَالِمٌ كَمَا قَالَ الْحِمَارْ
ثُمَّ أَجَاءَهَا[1] الْمَخَاضُ ـ فَبَدَا ... مِنْهَا الْحَدَاثَةُ ـ إِلَىٰ جِذْعِ الرَّدى
وَذَاتُ رَمْزٍ، وهْيَ جُبْنٌ لُغَوِيّ ... إِنَّ أَدِيْبًا يَصْطَفِيْهَا لَغَوِيّ



(١) ألجأها إلى جذع الردَى.

فكر الاستشراق

مِنْ أَهْل غَربٍ فِكْرُ الاسْتِشْرَاقِ — أنْ يَدْرُسَ الْغَرْبِيُّ مَا يُلاَقِيْ
مِنْ عِلْم أَهْلِ الْمَشْرِقِ الإِسْلاَمي — والاسْتِغْرابُ عَكْسُ ذَا الْكَلاَمِ
وَهُمْ كَثيرٌ، بَعْضُهم تَعَصَّبَا — وَبَعْضُهم تَعَصُّبًا قَدْ جَانَبَا
وَمِنْهُمُ مَنْ فَاقَ فِي التَّحْقِيْقِ — والنَّقْلِ والإِخْرَاجِ والتَّنْسِيْقِ
وَقَصْدُ قَوْمٍ مِنْهُمُ التَّشْكِيْكُ فِي — رِسَالَةٍ والطَّعْنُ بالتَّخَالُفِ
والنَّيْلُ مِنْ كَلاَمِنَا والاعْتمَادْ — عَلَىٰ ضَعْيفٍ، ثم تَنْصِيْرُ الْعِبَادْ



القاديانية

أَنْـفَـذَهَـا مِـرْزَا غُـلاَمُ أَحْـمَـدِ ... الـقَـادِيَـانِـي، نِـسْـبَـةٌ لِـبَـلَـدِ
مِـنْ بَـعْـدِ تِـسْـعِـمَـائَـةٍ وَأَلْـفِ ... «م»[1]، جَوَّزُوْا شُرْبَ العُقَارِ الصِّرْفِ
وَحَـسِـبُـوْا غُـلاَمَـهُـمْ مَـسِـيْـحَـا ... وَنَـسَـبُـوْا لِـرَبِّـنَـا الْـقَـبِـيْـحَـا
وَفَـضَّـلُـوا غُـلاَمَـهُـمْ عَـلَـىٰ الـنَّـبِـيْ ... وَيْـلٌ لَـهُـمْ وَلِـلْـغُـلَـيِّـمِ الْـغَـبِـيْ
وَزَعَـمُـوا نُـزُولَ جَـبْـرَئِـيْـلاَ ... عَـلَـيْـهِ بِـالْـوَحْـي، وَصَـبْـرِي عِـيْـلاَ
عَـنْ كَـتْـبِ كُـتْـبِ هـؤلاءِ وَاخْـتِـمِ ... بِـجَـعْـلِـهِـمْ «قَـدْيَـان» مِـثْـلَ الْـحَـرَمِ



---

(١) أي: ميلادي.

القرامطة

بَدَأَهَا «مَيْمُونٌ الْقَدَّاحُ» ... سَنَةَ (مَكْرٍ)[1] وافْتَرَىٰ الرُّبَّاحُ[2]

«حَمْدَانُ» إِثْرَ «ذِكْرَوَيْهِ» النَّابِيْ ... ثُمَّ «أَبُوْ سَعِيدٍ الْجَنَابِيْ»

ثُمَّ «سُلَيْمَانُ» ابْنُهُ، وَهْوَ «أَبُوْ ... طَاهِرِهِمْ»، به تَقَوَّى الْمَذْهَبُ

وَآلَ بَعْدَهُ إِلَى شَقِيقِهِ ... وَخَلَعُوْهُ بَعْدَ تِمِّ رَيْقِهِ[3]

هُمُ أُلاَءِ قَاتِلُوا الأَبْرَارِ ... حُجَّاجِ بَيْتِ رَبِّنَا الجَبَّارِ

والْفَاتِكُوْنَ الآخِذُونَ الْحَجَرَا ... عِشْرِينَ عَامًا وَهْوَ مِنْهُمُ بَرَا

وَعَدُّوْا إِلَهَهُمْ، والأَوَّلُ ... عِلَّةُ ثَانٍ عِنْدَهم، وَأَوَّلُوْا[4]

فَجَعَلُوْا القُرْآنَ رِدْفَ الْفَيْضِ ... والاهْتِدَا لِدِيْنِهِمْ كالأَيْضِ[5]

---

(١) أي: سنة مائتين وستين.

(٢) كرُمَّان: القِرد.

(٣) أي: باطله.

(٤) يقولون بوجود إلٰهين اثنين قديمين أحدهما علة لوجود الآخر.

(٥) يقولون: القرآن فيض عن المعارف التي فاضت على محمد، ورِدْف بكسر الراء: مرادف. والأيض: من آضَ بمعنى رجع، والمراد: أنهم جعلوا معنى البعث الذي هو الرجوع إلى الله الاهتداء إلى مذهبهم.

القوميّة العربيّة

ظُهُوْرُهَا مَا بينَ قَرْنِ التَّاسِعَا ... عَشَرَ والْعِشْرِيْنَ يَومَ رُفِعَا

شِعَارُهُمْ عَلَىٰ أَسَاسِ الْقُرْبى ... والدَّمِ والفُصْحى، وَشَنُّوا الحَرْبَا

علَىٰ الشَّرِيْعَةِ، وَقَالُوا أَهْلاَ ... بِكُلِّ دِيـنٍ جامِعٍ وَسَهْلاَ

«الدِّيْنُ لله ولِلْكُلِّ الْوَطَنْ» ... دِثَارُهُمْ، وَكُلُّهُمْ بِهِ رَطَنْ

يَدْعُونَ لِلْخُرُوجِ مِنْ أدْيَانِ ... والغَيْبِ والْهُدَى إِلَىٰ العَلْمَانِي

وَحَرْبُ دِيْنِ الله قَصْدُ الْقَوْمِ ... والْكَيْدُ والإِلْحَادُ يا ذا النَّوْمِ

و«سَاطِعُ» (الْمُظْلِمُ) رَائِدٌ قَوِيْ ... وَ«عَفْلَقٌ» (أَبُوْ دِرَاسٍ) الْغَوِيْ[1]



(١) ساطع المصري هو رائد القومية، و«المظلم» تكذيب لـ«ساطع»، و«أبو دراس» كُنية الفَلْهَم بالفاء والقاف أو بقافين بينهما لام، أو بفاء فياء فلام، عكس المسْتَخصِف: هو معنى «عفلق» في العربية.

الماسونية

أُخْتُ الِخدَاعِ وَابْنَةُ الْمَكْرِ وأُمْ ... شَمْطَاءُ لـ(ابْنِ نَهْلَلٍ)[1] ،أَيْنَ تَؤُمْ
نَظَّمَهَا الْيَهُودُ فِي خَفَاءٍ ... وَأنْشَأُوْا نَوَادِيَ الرِّفَاءِ
وَكَانَ «هِيرُدْسُهُمْ» مَنْ أَسَّسَا ... بُنْيَانَهَا، عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ رَسَا
وَقَدْ دَعَوْا فِي نَهْجِهِمْ إِلَىٰ الفَسَادْ ... فِي الْكَوْنِ والإِلْحَادِ والشَّرِّ، فَسَادْ
نُفُوذُهُمْ واقْتَنَصُوا ذَوِي الذَّكَا ... وَكَتَمُوا الحَقَّ لَهُمْ وَهْوَ ذُكَا[2]
وَجَعَلُوا الكَاعِبَ واللَّقُوفَا[3] ... حِبَالَةً لِمَنْ قَلاَ الْوُقُوْفَا
حَوْلَهُمُ، وَمَنْ أَبَىٰ الدَّوَامَا ... ـ وَكَانَ مِنْهُمْ ـ أبْصَرُوهُ السَّامَا[4]
وَفَضَحُوْهُ وافْتَرَوْا وَعَذَّبُوا ... فَإِنْ نَجَا وَقَالَ شَيْئًا كَذَّبُوا
وَهُمْ ثَلاَثٌ: صِبْيَةٌ عُمْيَانُ ... كَونِيَّةٌ، وَمَنْ لَهُمْ تِيجَانُ[5]

---

(١) كُنية الباطل عند العرب.

(٢) من أسماء الشمس.

(٣) المرأة المنقادة.

(٤) الموت، والمراد تعذيبهم له أو قتله.

(٥) هم ثلاث فئات:

الأولى: العميان الصغار، وهم: المبتدئون المغرَّر بهم. =

وَخَدَعُوْا بَعْضَ ذَوِي العَمَائِمِ ‏ ‏ ‏ وَغَيرَهُمْ وانْقَادَ صِنْوُ النَّائِم

وانْسَلَّ مِنْهُمْ فِرْقَةُ الرُّوتَارِيْ ‏ ‏ ‏ فِي غُرَّةِ القَرْنِ، حَمَاكَ الْبَارِي

= **الثانية**: الكونية: وهي: أعلى الفئات لا يدخلها سوى اليهود.

الثالثة: الملوكية: وهم: المعبَّر عنهم في النظم بـ«من لهم تيجان» وهم في المرتبة الوسطى.

النصيرية

مُحَمَّدٌ نَجلُ نُصَيْرِ البَصْرِيْ في ثَالِثِ الْقُرُونِ رَأْسُ الْكُفْرِ
قَالَ: أَنَا الْبَابُ إِلَىٰ الإِمَامِ ثُمَّ ادَّعَى الْوَحْيَ مِنَ الْعَلَّامِ
وَنَجلُ جُنْدُبٍ والْجُنْبُلَانِي ثُمَّ الخُصَيْبِيُّ فَتَىٰ حَمْدَانِ
وَفِئَةٌ مِنْ خَلْفِ ذَاكَ العَفْكَل[1] وَكُلُّهُمْ قَالَ: إِلَهُنَا عَلِيْ
وَخَالِقُ النَّبِيِّ. وَهْوَ قَدْ بَرَا سَلْمَانَ، ثُمَّ بَعْدُ سَلْمَانُ ذَرَا
مِقْدَادَهُمْ، قَنْبَرَ، والْغِفَارِيْ مَعَ ابنِ مَظْعُونٍ، وَذِي الأَشْعَارِ
إِبْنِ رَوَاحَةَ، وَكُلٌّ مُوكَلُ فَالْخَلْقَ والرُّعُودَ حَازَ الأَوَّلُ
والثَّانِ نفخَ الرُّوحِ، والْغِفَارِي مُوَكَّلٌ بالْكَوكَبِ السَّيَّارِ
وَرَابعٌ بِمَرَضٍ مُنْتَشِرِ وَخَامِسٌ بِقَبْضِ رُوْحِ البَشَرِ
وَأَبْطَلُوا مَعْنَىٰ أُمُوْرِ الدِّيْنِ وَشَرِبُوا الصَّهْبَاءَ عَنْ يقِيْنِ
وَجَعَلُوا الْجِهَادَ صَبَّ اللَّعْنَةِ عَلَى الْخُصُومِ وَفُشَاةِ المِلَّةِ
وَجَوَّزُوا اللِّوَاطَ والنِّكَاحَا لِمَحْرمٍ وَنَسَخُوا الأرواحَا
وَجَعَلُوهُ أربَعًا بِحَسَبِ قُرْبٍ مِنَ الإِيْمَانِ أَوْ بُعدٍ أُبِيْ

(١) الأحمق.

نَسخٌ بآدَمِيْ، وَمَسخٌ في الْبَهَمْ، فَسْخٌ بِحَشْرَةٍ، وَرَسْخٌ في شَجَمْ[1]
يَقُوْلُ فِيْهِمْ ذُوْ الفَتَاوَى الْمِدْرَهُ مَقَالَ ذِيْ مِعْرِفَةٍ، وَهُوَّ[2] هُوْ:
أَشَدُّ كُفْرًا مِنْ ذَوِي الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَذَوِي الْحِرَابِ
إِذْ مالَؤوا الفِرِنجَ والتَّتَارَا وَحَرَّفُوْا وَظَاهَرُوا الْكُفَّارَا

(١) أعني: الشجر والجماد.

(٢) بتشديد الواو لغة.

الهندوسية

لاَ يُدْرَكُ الْيَوْمَ لَهَا مُؤَسِّسُ ... وَلاَ لِبَعْضِ كُتْبِهَا مُهَنْدِسُ

سَابِقَةٌ مِيْلاَدَ عِيْسَىٰ بِـ«طَوِ»[1] ... والشِّرْكُ فِي قَلْبِ ذَوِيْهَا مُنْطَوِيْ

وَهُمْ كَثِيرٌ، والْتَقَوا فِي «أُمِّ ... رَيَّانَ»[2]، كَالمَعْبُودِ عِنْدَ الْقَوْمِ

وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ هُمُ البَرَاهِمَهْ ... لَدَيْهِمُ والزُّمْرَةُ المُقَدَّمَهْ

وَحَرْقُ مَوتَاهُمْ مِنَ الْعَجَائِبِ ... وَعَلَّلُوا إِحْراقَهُمْ يَا صَاحِبِيْ

بِعِلَّةٍ، وَهْيَ صُعُودُ الرُّوْحِ فِي ... عُلُوٍ أَشَدَّ وَتَخَلُّصٍ خَفِيْ

وَعِنْدَهُمْ لِكُلِّ ذِيْ ذَنْبٍ لَظَى ... والنَّسْخُ لِلأَرْوَاحِ عَنْهُمْ حُفِظَا



---

(١) أي: قبل ميلاد عيسى بستة عشر عاماً.

(٢) أم ريان: كنية البقر عند العرب.

الخاتمة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَهٰهُنَا ... مَنْظُومَتِي تَطْلُبُ نِحْلَةَ الْبِنَا

أَلْبَسْتُهَا الْوَقْفَ وَقُلْبَ الذَّهَبِ ... وبُرْدَةً خَلَعْتُهَا مِنْ أَدَبِي

مُشْرَبَةً حُلْوَ الْقَصِيْدِ وَالْقِرى ... فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيْلاَتِ فِي أُمِّ الْقُرى

في عَامِ تَبْغِيْ[1] وَأَرَدْتُ تَبْغِي ... كُفْوًا لَهَا يَصُوْنُهَا عَنْ بِلْغِ[2]

مُجَرِّحٍ يَرْمِي وَلاَ يُبَالِي ... بِأَسْهُمِ الظَّنِّ بَرِيْءَ الْبَالِ

يَجْزِي الَّذِي يَبِيْتُ فِي سُهَادِ ... مُصَنِّفًا، وَهْوَ عَلَىٰ الوِسَادِ

وَعُذْرُه حَتْمٌ عَلَيَّ فَالزَّمَنْ ... فِيْهِ السَّلِيمُ والمُلِيْمُ والزَّمِنْ

ولِبُنَيَّ عشرينَ مع ثِنتين ... مِنَ السِّنينَ العذرُ مرَّتَينِ

لأنّه ابنُ آدم، أي: خَطَّا ... وأنه في صِغرٍ قد خَطّا[3]

والحَمدُ لله كَثيرَ العَدَدِ ... ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدِ

---

(١) أي: عام ١٤١٢هـ، وهذا التاريخ لنظم الفرق، وأما العقيدة فقبل ذلك.

(٢) أي: أحمق.

(٣) كتبت عامة أبيات العقيدة قبل عام ١٤١٠هـ، وأما أبيات الفرق فبعد ذلك.

وَصَحْبِهِ وَتَابِعٍ لِلْمُنْتَهى   آمِيْنَ آلافًا، وَنَظْمِيَ انْتَهى[1]

(١) قال أبو محمد: وهذا أوان الختم بما بدأنا به من حمد الله جلَّ ذكره على هداه لنا كثيرًا وتوفيقه، والله يغفر لي ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتوىٰ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

